

المحاضرة الأولى : أسس البحث الاجتماعي (تصور جديد)

أولاً : المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي :

المعنى البسيط للبحث :

عملية البحث تتم في أبسط صورها في حياتنا اليومية بأكثر من مظهر وشكل، فعندما تصادفنا بعض المشكلات ونحاول الوصول إلى حلول لها بطريقة أو أخرى، فإننا في هذه الحالة نقوم بعملية لا تختلف في شكلها عن عملية البحث الاجتماعي، بحيث تزداد قدرتنا على حل المشاكل اليومية كلما زادت وتعددت المواقف التي نجابهها وتتطلب البحث عن حل لها . ويعتبر البحث بهذا المعنى البسيط بمثابة محاولة لحل مشكلة، وبقدر زيادة المواقف المشكلة التي تحتاج إلى بحث تنمو قدرتنا على إجراء البحث والتوصل إلى حلول سلمية ما أمكن ذلك.

ومع هذا يمكن أن يساعدنا تصنيف هذه المحاولات والاستشهاد بأمثلة منها على التوصل إلى المقصود بالبحث الاجتماعي .فالملاحظ أن بعض هذه التعريفات كانت تهتم بتوضيح المقصود به من خلال التركيز على أهدافه، بينما اهتم بعضها الآخر بالتركيز على إجراءاته وانصراف بعضها الثالث نحو بيان المقصود به باعتباره سلوكا له خصائص مميزه. **ومن هذه التعريفات الآتي :**

أ- تعريف البحث الاجتماعي من خلال أهدافه .

ب- تعريف البحث الاجتماعي من خلال إجراءاته ومنهجه .

ج- تعريف البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا .

أ- **تعريف البحث الاجتماعي من خلال أهدافه :** فقد يحدد البعض البحث الاجتماعي باختصار على أنه مسؤولية عملية تعتمد على طرق منسقة ومنطقية في تحقيق الأهداف التالية :

١- اكتشاف وقائع جديدة أو التحقق من وقائع قديمة.

٢- تحليل تتابع هذه الوقائع وعلاقتها المتبادلة، وتفسيراتها العلمية أو السببية والتي تم اشتقاقها من إطار مرجعي أنظري مناسب.

٣- تنمية أدوات علمية جديدة ومفاهيم ونظريات قد تعين في الدراسة الثابتة والصادقة للسلوك الإنساني.

● وهكذا يتمثل الهدف الأول للبحث سواء البعيد أو المباشر في اكتشاف وتحقيق فهم السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية، حتى تزيد قدرتنا على التحكم فيها. كما يحدد البعض الآخر البحث الاجتماعي باعتباره: عملية تقصي أو فحص دقيقة للوصول إلى حقائق أو قواعد عامة والتحقق منها. وكذلك، ينظر إليه على أنه نشاط إنساني مقصود وموجه نحو غايات أو أهداف معينة سواء أكلن هذا النشاط يتم عن وعي أو قصد أو بدون وعي أو قصد.

ب- تعريف البحث الاجتماعي من خلال إجراءاته ومنهجه :

● ويحدد البعض الثالث البحث الاجتماعي بأنه : عبارة عن منهج منسق لاكتشاف وتحليل

وتصور الحياة الاجتماعية بهدف تطوير وتصحيح أو التحقق من المعرفة سواء أكانت هذه المعرفة تساعد في بناء نظرية أو في تطبيق أحد النتائج .

● والبحث الاجتماعي في تعريف رابع عبارة عن وسيلة لغاية ما بمعنى أنها تهدف إلى حل مشكلة

- عملية أو منهجية .وهي تهدف إلى كشف العلاقات بين البيانات المترابطة أو التحقق من

صدقها ويمكن السير في هذه الخطوات فقط بواسطة المنهج العلمي بمعنى التطبيق المنطقي والمنسق لأسس العلم علي التساؤلات العامة والشاملة للدراسة ، واستخدام الطرق العلمية التي تمدنا بالأدوات العلمية والإجراءات الخاصة و الوسائل الفنية التي تهدف إلى توفير البيانات وترتيبها قبل معالجتها منطقيا وإحصائيا.

ج- تعريف البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا:

- ويحدد البعض الأخير البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا مناسباً يتمسك بقيم معينة في علاقات الباحث بأخباريه وبمن يمدنه بالبيانات .
- ويحتاج الباحث بالإضافة إلي تدريبه وخبرته علي فنون العلم والبحث إلي أن يكون متميزا بالحساسية للعلاقات الإنسانية.
- وهكذا ، فالبحث الاجتماعي أولا وقبل كل شيء طريقة في التفكير ، وأسلوب للنظر إلي الوقائع ، يصبح معه معنى المعطيات التي تم جمعها واضحا في ذهن الباحث .
- كما أنه أسلوب يحل به الأفراد المشكلات الصعبة فمحاولتهم تجاوز حدود الجهل الإنساني .

وهذا الأسلوب يتميز بعدد من الخصائص ، ويحتاج الوقوف عليه تناولها بالتفصيل علي النحو التالي :

ثانيا :خصائص عملية البحث الاجتماعي :

- ١ . يبدأ البحث بسؤال في ذهن الباحث .
- ٢ . البحث يتطلب خطة .
- ٣ . يحتاج البحث إلي عرض مشكلته في تعبير واضح .
- ٤ . يعالج البحث المشكلة الرئيسية من خلال مجموعة مشكلات فرعية .
- ٥ . يتلمس البحث وجهته مستعينا بفروض مناسبة .
- ٦ . البحث يتناول وقائع ويوضح معانيها .
- ٧ . البحث عملية دائرية .

١ . يبدأ البحث بسؤال في ذهن الباحث :

الإنسان حيوان محب للاستطلاع . وهو ينظر أينما يوجد إلي الظواهر التي تثير حبه للاستطلاع، والتي تثير لديه الدهشة والتأمل وتجعله يطرح التساؤلات المناسبة فإنه يستطيع أن يخلق المناخ المواتي ، ويكون الاستجابة المعرفية للوقائع الهامة التي تعد بمثابة مطلبا أساسيا للبحث ذاته، لأن البحث بنشاء عن سؤال طرح بطريقه ذكية في وجود ظاهرة ما قد لاحظها الباحث ووجد أنها تثير في نفسه الحيرة. ويجد الباحث من خلال طرحه للأسئلة المناسبة ما يعينه علي تحديد وجهته في مطلبه من أجل الحقيقة.

٢ . البحث يتطلب خطة :

- ليس البحث بمثابة أمل ساذج في أنك ستكشف علي نحو ما وبطريقة معينة الوقائع التي تحتاجها أو الحقيقة التي تسعى وراءها. و
- وهو ليس نشاطا لا هدف من ورائه أو غير موجه ،كما ليس مجرد النظر إلي شيء ما بأمل التوصل إلى حل لمشكلتك ، وإنما يتطلب البحث أكثر من ذلك ،ونعني أنه يحتاج إلي خطة محددة وتصميم وتوجيه.

٣. يعالج البحث المشكلة الرئيسية من خلال مجموعة مشكلات فرعية :

تنطوي معظم المشكلات التي يمكن إجراء بحوث حولها على مجالات مشكلة أخرى متباينة أقل أهمية وتأثيراً. ونتيجة لأن الكثير من الباحثين لا يأخذون الوقت الكافي ولا المخاطرة في عزل المشكلات الفرعية في إطار المشكلة الرئيسية، يصبح تحديدهم لمشروع بحثهم مرهقا، وغير علمي، وصعب التناول لضخامته. ولذلك، كان من المناسب عمليا أن نقسم هذه المشكلة الأساسية إلى مشكلات فرعية مناسبة، بحيث أنه عند حل كل واحد منها فإنه سوف يترتب على ذلك حل مشكلة البحث الأساسية.

٤. يتلمس البحث وجهته مستعينا بفروض مناسبة :

- وبعد تحيد المشكلة والمشكلات الفرعية المرتبطة بها، يعتبر عن كل واحد من المشكلات الفرعية في صورة أبنية فرضية منطقية تعرف باسم الفروض HYPOTHESIS. فالفروض عبارة عن قضية منطقية أو تخمين معقول، أو هو علاقة مدروسة قد توجه أو تحدد وجهة الفكر فيما يتعلق بالمشكلة، الأمر الذي يساعدنا في حلها .
- وتعد الفروض بمثابة جانبا من خبرتنا في الحياة اليومية تلك التي نستعين بها في معالجة مشكلات الحياة اليومية. وهي تمثل النشاط الطبيعي لعقلنا البشري. إن شيئا ما يحدث فنحاول في الحال تفسير سبب حدوث هذا الشيء بواسطة سلسلة من التخمينات، والافتراضات أو الاستنتاجات المنطقية .

٥. البحث يتناول وقائع ويوضح معانيها :

- بعد عزل المشكلة وتقسيمها إلى مشكلات فرعية مناسبة، ووضع الفروض التي سوف تشير إلى الوجهة التي قد نجد فيها الوقائع، فإن الخطوة التالية هي جمع الوقائع التي تبدو أن لها صلة بالمشكلة ثم تنظيمها في مجموعات ذات معني تمكن من تفسيرها.

٦. البحث عملية دائرية:

- تبدأ دائرة البحث بعقل ممتلئ بالتساؤل يواجه موقفا محيرا أو مشكلا. ولكي يرى الباحث هدفه بوضوح يقوم بعزل المشكلة المحورية، قد يقسم بعد ذلك المشكلة المحورية إلى مشكلات فرعية التي تمثل كل واحدة جزء متكامل في الكل الأكبر وبحيث تكون في مجموعها مشكلة البحث الأساسية.
- وما أطلقت عليه اسم البيئة التي يظهر عنها المشكلة التي يمكن أن نطلق عليها اسما أكثر مناسبة هو عالم البحث وهو العالم الذي يحتمل أن يمدنا بالوقائع أكثر من غيره.
- وينقب الباحث داخل هذا العالم عن تلك الوقائع الخاصة التي تبدو أنها وثيقة الصلة بحل المشكلة والمشكلات الفرعية لها.
- ويعمل بناء الفروض التجريبية على تسهيل بحثه، لأنها تشير إلى الوجهة التي يجد فيها الباحث الوقائع المناسبة. ثم يقوم بتنظيم الوقائع .
- يساعد هذا الاكتشاف بدوره على حل المشكلة. ويجب هذا الحل عندئذ على السؤال الذي أدى إلى قيام البحث في الأصل.
- وهكذا فإن الدائرة تكتمل وتلك هي الصيغة التي تميز كل البحوث الأساسية.
- ويمكن التعبير عن البحث بالشكل التالي. وقد تنظر إلى هذا الشكل على أنه حلزوني helix أكثر منه دائري . لأنه في العملية الحلزونية لحل المشكلات سنظل نطرح مشكلات أكثر، ونتيجة ذلك يستمر البحث في السير قدما إلى الأمام.
- وبالنظر إلى البحث بهذه الطريقة نجده يمتاز بخاصية دينامية، بعكس النظرة القديمة والشائعة للبحث باعتباره عملية استاتيكية .

ثالثاً : تصميم واستراتيجية البحث الاجتماعي :

١. التصميم :

- عبارة عن خطة يتصورها الشخص وتتطوي علي عناصر وإجراءات لازمة للوصول إلى الهدف من هذا التصميم ، وتأخذ في اعتبارها كافة الاحتمالات التي قد تحول دون الوصول إلي هذا الهدف عند التنفيذ .
- لا يخرج تصميم البحث عن هذا المضمون ، بحيث نجد أن الباحث يضطر إلى وضع تصميم منهجي يفيده في تحقيق هدف بحثه ، ومن هنا كان التصميم وسيلة للوصول إلي أهداف البحوث من إجابة علي تساؤلات ، أو تحقق من فرض ، أو حل لمشكلة .
- لذلك كان لابد قبل التفكير في وضع تصميم للبحث ، أن نحدد الهدف من البحث المراد وضع تصميم له ، وبناء علي ذلك نشرع في وضع التصميم المنهجي ، الذي يحدد بالتالي كافة الإجراءات والاعتبارات والاحتمالات اللازمة للوصول إلي هذا الهدف .

البحث عملية دائرية :

- ١- يبدأ البحث بسؤال ليس له إجابة في زمن الباحث .
- ٢- يحدد البحث هدفه في قضية واضحة تعبر عن مشكلة .
- ٣- يقسم البحث المشكلة إلى مشكلات فرعية تبحث كل منها عن موجه من خلال فرض مناسب .
- ٤- يضع البحث حلول مبدئية للمشكلة من خلال فروض قياسية توجه البحث نحو الوقائع .
- ٥- يبحث البحث عن الوقائع مسترشداً بالفروض ومنها نحو المشكلة تجمع الوقائع وتنظم .
- ٦- يفسر البحث معنى الوقائع التي تؤدي إلى حل المشكلة وهكذا يثبت أو يرفض الفروض ويقدم إجابة السؤال الذي يبدأ البحث .

٢. استراتيجية البحث :

- تزايد استخدام مصطلح استراتيجية البحث بين المشتغلين بالبحث الاجتماعي أخيراً ، لأنهم قد وجدوا من المفيد للباحث أن يشبه البحث العلمي بمعركة ضد المجهول ، ولأنه من شأن هذا التشبيه أن يوحى بسلسلة من التشبيهات الجزئية التي تعود علي البحث بفائدة أكيدة .
- من ذلك مثلاً حشد جميع مصادر المعلومات التي نمس جبهة البحث ، وإعداد الأدوات اللازمة ، والتركيز علي قطاع محدود في الميدان ، والالتفاف حول مناطق المقاومة بدلا من الإصرار علي مواجهتها من الزاوية العسيرة ، وعندما يفلح الباحث في أن يفتح ثغرة في جبهة المقاومة يحسن به أن يسرع بالتقدم إلي رقعة فسيحة مؤثرا التوسع في البداية علي أن يأتي التعمق في مرحلة تاليه ، وهذا صحيح في البحوث البحثية والتطبيقية علي السواء .

فهناك نوعان من الخطط :

- أ- الخطط الاستراتيجية بعيدة المدى : تحدد المراحل الكبرى للبحث ، والمعالم الرئيسية لنوع المعلومات المطلوبة في كل مرحلة ، ونوع الأدوات اللازمة لجمع هذه المعلومات ونوع التحليلات الكمية أو الكيفية التي سوف تجري عليها هذه الخطط الاستراتيجية يشترط فيها أن تحدد منذ البداية تجديدا واضحا ، مع قسط المرونة يسمح باستحداث قرارات وتوجيهات تمس التفاصيل دون الجوهر .

ب- الخطط التكتيكية قصيرة المدى : تنشأ لمواجهة مواقف لم تكن متوقعة والتصرف فيها بما يناسبها ولا يتعارض مع جوهر الخطة الاستراتيجية. والأصل في الخطط التكتيكية المرنة وحسن التصرف في اللحظة الحرجة علي ضوء خبرات الباحث السابقة والقدرة على ابتكار الحلول غير المسبوقه.

أن هذه التشبهات التي لجأ اليها المشتغلون في البحث الاجتماعي قد أعانتهم في التفرقة الحاسمة بين ما يعرف بالمنهج أو الاستراتيجية العامة

١- ان المنهج يعتبر بمثابة الاستراتيجية العامة أو الخطة العامة التي يرسمها الباحث لكي يتمكن من حل مشكلة بحثه أو تحقيق هدفه أو هو الاستراتيجية التي تعتمد على مجموعة من الأسس والقواعد والخطوات التي يستفاد منها في تحقيق أهداف البحث والعمل العلمي.

٢- ان المنهج يمتاز بخواص ومميزات أهمها أنه يطبع البحث بطابعه ويؤثر في انقسامه إلى أنواع. والمنهج يطبع البحث بطابعه ويتلون بلونه ويحدد وصفه أو صفته على هذا الاساس فإذا كان البحث يتطلب استخدام قواعد القياس ، فإنه لا يجد مفراً من أن يستعين في هذا الصدد بالمنهج التجريبي ، الأمر الذي يكتسب معه هذا البحث بعد ذلك صفة التجريب ويقال عنه بحث تجريبي.

٣- تعتبر طريقة البحث بمثابة إحدى قواعد المنهج باعتباره مجموعة قواعد ، أو هي الوسيلة التي تنفذ بها المنهج كخطة عامة ، أو هي التكتيك الذي نطبق به المنهج باعتباره استراتيجية . فإذا كان المنهج التاريخي في دراسته لظواهر الماضي يحاول تحقيق هدفه من خلال تحليل الوثائق والسجلات المتوفرة عن الماضي حول هذه الظواهر ، فإن تحليل الوثائق والسجلات تعتبر بمثابة الطريقة أو التكتيك الذي يطبق به المنهج التاريخي استراتيجية .

٤- هناك في نطاق البحث الاجتماعي نواع متعددة ومتباينة من طرق البحث الاجتماعي منها : القياس الاجتماعي والمسح الاجتماعي ودراسة الحالة ، وتحليل الوثائق ، وتحليل المضمون ، والطريقة الاسقاطية ولكل واحد منها استخداماتها ومتطلباتها وخصائصها وعيوبها . يجب أن يكون الباحث مستوعبا للدروس التي تلقاها في هذا الصدد ؛ حتى يستطيع أن ينتقى منها ما يتناسب مع التصميم المنهجي الذي يتفق والموضوع الذي يختاره للبحث.

٥- تعتبر أداة البحث بمثابة الوسيلة التي يلجأ إليها للحصول على المعلومات والبيانات التي يتطلبها بحثه ، فقد يستعين الباحث في هذا الصدد بالملاحظة أو المقابلات الشخصية أو الاستبيان ، ولكن عليه في هذا الاستخدام أن يتذكر الدروس المستفيضة التي تلقاها حول طبيعية كل أداة ، ومتطلباتها ، واستخداماتها ، ومميزاتها ، وعيوبها وحول العوامل التي تتدخل في اختيار الأداة المناسبة لموضوع بحثه ، أو متطلبات تصميم أداة جمع البيانات ووضع البناء المناسب لها فهذا أمر له شروطه المنهجية سنتناوله بالتفصيل في فصل لاحق .

رابعاً : أهمية النظرية في البحث الاجتماعي :

١- تعتبر النظرية بمثابة نسق استنباطي يتكون من مجموعة قضايا يحتل بعضها مكانة المقدمات أو المسلمات وتحتل بعضها الثاني مكانة الفروض ويحتل بعضها الثالث مكانة النتائج العامة أو التعميمات. بحيث تكون الفروض مستنتجة منطقياً من المسلمات . وتعد النتائج العامة والتعميمات. بمثابة نتائج مستنبطة من ما يتقدمها من فروض. أو في قول آخر تعد النظرية بمثابة نسق يشتمل على مفهومات وقضايا وتعميمات وقوانين مستخلصة من نتائج البحث حول الموضوع المدروس أو من الملاحظات

الواعية أو تمثل النظرية إطاراً يتمثل من حسابات صورية كالرموز والقواعد ، ومن تفسير جوهري يساغ في صورة قوانين ومقولات.

٢- وينبغي أن يتوفر مكونات النظرية المشار إليها سلفاً عدة شروط ، بحيث يجب أن تكون المفهومات محدودة بدقة ، وأن تتسق القضايا المكونة لها ببعض مع البعض الآخر، وأن تصاغ في شكل يشكل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية ، وأن تكون هذه القضية خاضعة لتحقيق الإمبيريقى أو الاختبارات في صور شواهد واقعية ، وأن نجد تأييداً لها في هذه الوقائع الامبيريقية .

٣- كما يجب أن تتسم مكونات النظرية بعدة خصائص . بحيث تصبح النظرية هي البناء الذى يجمع أشتات النتائج المبعثرة ويوحد بينها ، ويضم قضايا خصيبة مثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات أبعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة الحالية. وتشتق هذه القضايا من الملاحظات والتعميمات ، كما تصدر عن احساس خفي خلاق يقفز وراء الأدلة والوقائع الملحوظة. وتتسم هذه القضايا المكونة للنظرية بانها ليست نهائية أو صياغة استاتيكية ثابتة ، وإنما هي قابلة باستمرار للتغير والمراجعة. وترتبط قضايا النظرية بالوقائع الإمبيريقية وفي نفس الوقت ترتبط بمصطلحات أخرى قد تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق والممارسة .

٤- وتقوم النظرية بعدة وظائف حيث أنها تسهم في مجال وصف الظواهر الاجتماعية باستخدام المفهومات والتعريفات ، كما تفيد في تصنيف هذه الظواهر وتحليلها وتفسيرها استناداً إلى الفروض والتعميمات ، كما يستفاد من قوانين النظرية في تحقيق أهداف التنبؤ ، الأمر الذى سنزيده إيضاحاً عند الحديث عن أهمية النظرية في البحث الاجتماعي.

النظرية والقانون :

- يجب أن نذكر أن النظرية برغم أنها قد تجد ما يدعمها استناداً إلى شواهد كثيرة يمكن البرهنة عليها ، فلا يزال يعبر عنها في مصطلحات احتمالية أكثر من ربطها بالحقائق المبرهن عنها استنتاجاً والتي قد ثبتت صحتها في ظل ظروف معينة .
- وعندما يتم اختبار هذه الحقائق ويقبلها العلماء باعتبارها صحيحة وثابتة في ظل نفس الظروف ينظر إلى نظرية في هذه الحالة على أنها قانون اجتماعي. عبارة عن اختزال عقلي يحل محل الوصف المطلوب
- والقانون كما عبر عنه كارل بيرسون للتتابع بيم انطباعاتنا الحية . وهكذا ، يعد القانون ابالمعنى العملي أساساً ناتجاً للعقل الانساني وليس له معنى بمعزل عن الانسان . فهو يدين بوجوده إلى القوة الخلاقة لعقل الانسان.
- والواقع أنه من الصعب صياغة القوانين الاجتماعية لان الحقائق يصعب قياسها. ومن الصعب كذلك قياس هذه الحقائق ليس لانها فقد تفتقر إلى أدوات الدقة وإنما لأن الحقائق تتميز بالدينامية والتعقد.
- ولكي نقيس الحقيقة ، يجب أن تكون هذه الحقيقة بسيطة ويجب النظر إلى هذه الحقيقة باعتبارها تظهر الصورة مرات كثيرة بنفس الصورة. ولكن الحقائق في العلوم السلوكية ليست بسيطة ولا يحتمل أن تكرر نفسها باستمرار بنفس النظام أو الصورة .
- كما تتميز الظواهر الاجتماعية أيضاً بأنها غير ثابتة ويصعب قياسها وأكثر من ذلك أن التنسيق والنظام في ترتيب الحقائق أمر يصعب تحقيقه مع أن الحقائق تعد أساسية للقياس .

خامسا : الفروض والبحث الاجتماعي:

ويمكن إيجاز قيمة الفروض الإجرائية وأهميتها فيما يلي:

- يحدد الفرض محور اهتمام البحث، كما يساعد في تحديد الطرق أو الواجهة التي يسير فيها، وفي رسم حدود الميدان المخصص للبحث عن طريق تمييز الحقائق المناسبة التي يركز عليها عن تلك غلتي يمكن أن يستغنى عنها إلى وقت محدد على الأقل وهكذا يحول استخدام الفرض دون أن يسير البحث في غموض أو لا يجعله يجمع البيانات غير المثمرة أو التي قد يثبت فيها بعد عدم مناسبتها للمشكلة موضوع البحث.
- ولا يجب أن يبدأ الباحث في البرهنة علي صحة فروض. وإنما عليه أن يختبر ويقبل كلا من النتائج الإيجابية والسلبية بالروح العلمية الحقة في البحث، وذلك لأنه يمكن أن تكون للنتائج السلبية نفس أهمية النتائج الإيجابية.
- كما لا يجب أن يدافع عن الفروض حتي ولو أيدت البيانات التي تم تجمعها حديثا نتيجة تماثل بالضبط عكس النتيجة التي يعتقد الباحث اصلا أن بياناته قد تكون علي صلة بها.

الفروق بين النظرية والفرض – وبين النظرية والقانون . وهذه :

- **يعتبر الفرض** مضاعفا علي نحو عام قبل التحقق من الوقائع، وهو يعالج نطاقا ضيقا من الوقائع ،
- ويعد افتراضا أوليا يؤخذ به من أجل تفسير الحقائق التي تم ملاحظتها فقط أثناء مرحلة الاستطلاع.
- أما **النظرية** من ناحية أخرى فتعتبر بمثابة تعميم تم التوصل إليه بعد تحقيق، وهي تعالج مجموعة من الحقائق أوسع .
- وغالبا ما يقال أن النظرية عبارة عن فرض تم اختباره وبلورته. والوقائع المتجمعة يترجمها الباحث إلي أبنية فرضية ومفاهيم موجوده أو مبتكرة حديثا . ثم تتجمع المفاهيم بدورها في نظرية افتراضية والتي تخضع بعد ذلك للاختبار والتحقق لتحديد سلامتها وصدقها – إذا ثبت بعد ذلك للاختبار والتحقق لتحديد سلامتها وصدقها- وإذا ثبت بعد هذه العمليات الدقيقة أن النظرية سليمة وصادقة فإنها توصف باعتباره نظرية علمية، وقد تقبل علي أنها تناسب النمط الموجود من الحقائق العلمية ذات الصلة بالقضية المدروسة.
- وعندما يمكن اختزال سلسلة من الحقائق العلمية أو اختصارها في قضية دقيقة قد يعبر عنها في صيغة رياضية في هذه الحالة ينظر إليها باعتبارها قانونا. وليس هناك مصطلح علي درجة عالية من الاحتمال مثل القانون العلمي.

سادسا : المفاهيم العلمية :

- تسير عملية تنظيم البيانات واستخلاص التعميمات منها جنبا إلى جنب مع صياغة المفاهيم، وكما يدرك الباحث العلاقات بين هذه البيانات، أو يكون قادرا علي عزل مجموعة محددة من الأحداث أو أنماط السلك ويصف خصائصها فإنه يبدأ في تلخيصها في معني معين يكون ممثلا لمجموعة الأحداث أو الأنماط أو السمات في جملتها.
- وكل مجموعة جديدة من البيانات عزلت أو فصلت عن المجموعات الأخرى علي أساس خصائص محددة ، تعتبر بمثابة معطي أو اسما أو تسميه أو باختصار وهذا المفهوم يعد في الواقع تحديدا مختصرا لمجموعة من الحقائق .

- أو تسميه أو باختصار مفهوم ، فالطغيان والعدوان والإحباط والاتجاه والشخص، والقلق تعبر أمثلة علي هذه المفهومات، فيها تم اختصار عدد من الأحداث أو الظواهر والأحداث تحت عنوان عام واحد، وذلك بهدف تقديم ما دار في فكرنا حول هذه الظواهر والأحداث والعمليات في صورة مبسطة.
- ليس هناك مفهوم يتسهل تحديده، وذلك بسبب تباينها وتعقدها. وهناك مفهومات مثل الإحباط والعدوان أو الدافعية لا تزال أكثر صعوبة في تحديدها ، وذلك لأنها تعتبر بمثابة أبنية فرضية ، بمعنى أنها تمثل استنتاجات علي مستوي عال من التجريد من أحداث ملموسة ولا يمكن توصيل معناها بسهولة من خلال الإشارة إلي موضوعات معينة أو أفراد أو أحداث .
- وتعرف هذه العلمية ذات المستوي العالي من التجريد التي تفرض علي البيانات وتعتبر المفاهيم العلمية غالبا وبخاصة في ميدان علم الاجتماع الخام باسم عملية صياغة المفاهيم. بمثابة مصطلحات شائعة الاستخدام.
- استخدم علم الاجتماع مصطلحات شائعة في لغة الحياة اليومية واعتبرها بمثابة مفهوماته الأساسية، واستعان بها في التعبير عن جوهر تفكيره العلمي، وتعتبر مفاهيم مثل الشخصية، والثقافة، والمجتمع المحلي، والمجتمع، والجامعة والاتجاه ، والقيم مجرد أمثلة قليلة علي المفهومات السوسولوجية والتي تختلف معانيها لدرجة كبيرة عندما يستخدمها عالم الاجتماع عن استخدام رجل الشارع لها.
- تتميز الأبنية الفرضية (مثل الإحباط أو العدوان) عن المفهومات البسيطة بأنها معقدة، ولذلك فإن هذه الأبنية الفرضية لا تحتاج فقط إلي أن تكون محددة بعناية وإنما تحتاج أيضا إلي ترجمتها إلي أحداث يمكن ملاحظتها وعمليات أو معان معينة، سيترتب عليها بيانات يمكن أن تكون مقبولة كمؤشرات علي هذا البناء الفرضي مثل العدوان .
- ويعتبر ستيوارت دود هو المسئول الرئيسي عن محاولات إدخال التعريفات الإجرائية للأبنية الفرضية إلي علم الاجتماع بمعنى استخدام سلسلة من الكلمات ترسم بوضوح أفعال يمكن ملاحظتها أو أدائها أو عمليات يمكن اختبارها والتحقق منها بمعرفة الآخرين.
- ويوافق المدافعون عن استخدام وتنمية التعريفات الإجرائية في علم الاجتماع علي أنه الممكن بناء مقاييس خاصة أو اختبارات والتي قد تحدد موضوعيا وبطريقة قابلة للتحقق من السلوك الفعلي والاتجاهات.
- **المحاضرة الثانية : مشكلة البحث الاجتماعي وتحديدها**

أولاً : نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي :

- يتطلب البحث عقلاً مستقراً أثناء تنقيبه عن الوقائع ، وحتى بعد جمعها فإنه يقوم بالكشف عن معني هذه الوقائع والتعبير عنها في نتيجة واحدة . وكذلك ، يقال أنه عندما لا يكون هناك مجال لنضال فكري يفرض علي الوقائع أن تكشف عن معانيها ، فإنه لا يكون هناك بحث . وإلا أصبح البحث عاملاً تستطيع الآلة القيام به .
- أن النشاط الذي ينتهي بمجرد التوصل إلى معامل الارتباط بين مجموعة من المعطيات لا يعد بحثاً ، لأن هذا ما يستطيع الحاسب الآلي القيام به وأن التوصل إلى وجود معامل ارتباط بين مجموعتين من المعطيات قدره ٠.٨٢ مثلاً ، ما هو إلا مجرد خطوة علي طريق البحث ، لأنه يؤكد لنا فقط أن هناك ارتباطاً بين هاتين المجموعتين من البيانات ، ولكنه لا يجيب علي كل ما يمكن أن يثيره هذا الارتباط من تساؤلات مثل : ما طبيعة هذه العلاقة ؟ وما السبب الرئيسي لها ؟ فالإجابة علي هذه التساؤلات معناها تقديم تفسير لما يعنيه الارتباط المذكور ، الأمر الذي يتطلب نوعاً من الصراع

الفكري الذي يجعل ذهن الباحث يدخل في معركة مع الحقائق الملحوظة ، أملاً في الكشف عن دلالة ومغزى هذه الوقائع المعبرة عن الارتباط ، وهذا ما لا تستطيع الآلة أن تقوم به . واستناداً إلى فهمنا لطبيعة البحث الاجتماعي .

على هذا النحو نستطيع التقدم نحو بيان نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي :

- ١- ليست المشكلات التي يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا مشكلات مناسبة للبحث .
 - ليست المشكلات التي يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا مشكلات مناسبة للبحث ، ذلك لأن موقف نعم أو لا لا تترك أي مجال لتفسير المعطيات بمعيار أو مستوي معروف ، ثم اتخاذ قرار مباشر بشأنها . ومثال ذلك التساؤل : هل الجو بارد في الخارج ؟
- ٢- لا تعد مشكلات المقارنة بمثابة مشكلات صالحة للبحث .
 - لا تعد مشكلات المقارنة بمثابة مشكلات صالحة للبحث ، ذلك لأن المقارنة البسيطة في ذاتها لا يمكن أن تكون غاية الجهد الذي يدخل في البحث ، وأن المقارنات تمثل خطوات وسيطة فقط في ترتيب المعطيات من أجل عرضها على ذهن الباحث بطريقة تساعده على ملاحظتها وإدراك أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، وتعيّنه في البحث عن الأسباب التي تستند إليها الطبيعة المغايرة والمماثلة لهذه الوقائع .
- ٣- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها من وجهة نظره .
 - المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها من وجهة نظره : ذلك لأنه من بين ما يدفع إلى البحث هو وجود مشكلة يشعر بها الباحث ويقدر أهمية دراستها والبحث عن حل لها ، ولأنه بقدر ما يكون للمشكلة أهمية بالنسبة له ، بقدر ما يزيد ما يزيد لديه الحافز الذي يدفعه إلى التفكير في جوانبها المختلفة ، ويساعده على المثابرة في تحليل أبعادها المتباينة ، ويجعله يستمر في تحمل المشاق التي يحتمل ن تواجهه في دراستها .
- ٤- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للمجتمع الذي نعيش .
 - المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للمجتمع الذي نعيش فيه . ذلك لأنها جاءت في الوقت المناسب ، أو لأن لها صلة بمشكلة علمية في الحياة اليومية ، أو تخص السواد الأعظم من الناس في المجتمع ، ولأنه بقدر ما يكون للمشكلة أهمية بالنسبة للمجتمع أو الناس المحيطين بالباحث من أحد الجوانب ، بقدر ما يضمن تعاونهم وإتاحة المناخ الملائم لإجراء دراسته .
- ٥- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للعلم والتخصص الذي ينتمي إليه .
 - المشكلات الصالحة للبحث هي التي يشعر الباحث بأهميتها للعلم والتخصص الذي ينتمي إليه : ذلك لأنها قد تسد ثغرة في نتائج البحث في هذا العلم أو تسمح بتعميم النتائج القائمة إلى مستوى أكثر تجريداً ، أو تصقل تعريف أحد المفاهيم الهامة ، أو تبرهن عن وجود علاقة بين معطياته ، أو تطور من الملاحظة وتحسن من تحليل المعطيات ، أو توفر فرصة لجمع معطيات معينة تتيح إمكانية ظهور اكتشافات مثمرة في نطاق هذا العلم أو التخصص . وبناءً على أهمية المشكلة بالنسبة للعلم والتخصص .
- ٦- المشكلات الصالحة للبحث هي التي يتوافر لها الإمكانيات اللازمة .
 - فالواقع إن إجراء البحث يحتاج إلى وقت وجهد ونفقات ، ولا بد أن يتأكد الباحث من أنه سيجد الوقت اللازم لتناول مشكلة بحثه ، وأنه يستطيع أن يبذل الجهد المطلوب لها ، ويجد جهد الآخرين الذين

يحتاج إليهم في جمع البيانات ، وتفريغها ومعالجتها إحصائياً على الحاسبات الإلكترونية أو غيرها ، وأنه سيحصل على النفقات الضرورية لتوفير المراجع العلمية التي تضم الكتابات السابقة حول مشكلة البحث وتعيينه على الوقوف على جوانبها المختلفة ، وأنه سيتوفر له تعاون مجتمع البحث ، والمبوهئين في إتمام البحث ومدته بالبيانات التي تلزمه في هذا البحث .

ثانياً : مصادر مشكلات البحث الاجتماعي :

١- المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي :

- خبرات الفردية والعلمية .
- القدرة على الحدس والبداهة والتخمين .
- القيم والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية .

٢- المصادر الموضوعية لمشكلات البحث الاجتماعي :

- الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية .
- نتائج البحوث الاجتماعية السابقة .
- النظريات الاجتماعية .

ثانياً : مصادر مشكلات البحث الاجتماعي :

أولاً : إن مشكلات البحث قد توجد في كل مكان ، وأينما تمعن النظر في العالم المحيط بك تجده مفعماً بالمشكلات التي يمكن بحثها . ومهما كان مثار اهتمامك ومصدر حيك للاستطلاع على أساس طررك للأسئلة التي لم تجد إجابة لها أو التي لازالت الإجابة حولها مثاراً للجدل والمناقشة ، فإنك قد تجد أرضاً خصبة للمشكلات التي يمكن إجراء بحوث حولها . إن الإنسان لم يقل بعد كلمته الأخيرة في معظم المسائل التي لها أهمية في نظره . كما أن أي قطاع في الحياة أو أي ظرف في العالم الذي يحيط بك ، أو أية ظاهرة تقع أمامك أو أي حدث يمر أمام عينيك فإنه ينطوي على مشكلات لا حصر لها تستدعي اهتمام الباحثين .

ثانياً : إن الباحث ليس حراً في اختيار مشكلة بحثه من أي نطاق وإنما هناك حدود الاختيار لا يجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها . ذلك أن الباحث لا يستطيع أن يختار مشكلات بحثه من بين تلك التي تقع خارج مجال اهتمامه أو بعيداً عن نطاق ميدان تخصصه الذي ينتمي إليه .

وكل ما هو مطلوب منك بعد ذلك أن تذهب إلى المكتبة وتقوم بفحص أية مجلد يضم ملخصات البحوث التي أجريت في نطاق الميدان الذي يهيك ، وستشعر مرة واحدة كيف أن عالم الحياة اليومية وعالم البحث يتداخلان ويتشابكان . وتدرك في الوقت نفسه ، وبعد مثل هذه التجربة ، أن كل ما نحتاجه للتغلب على مل قد يعترضك من حيرة وتردد عند التفكير في اختيار مشكلة البحث هو النظر إلى مجال اهتمامك وميدان تخصصك نظرة فاحصة ومتأنية ، فتستطيع بعدها تبيين نوعية المشكلات الصالحة للبحث .

ولقد حاول البعض تسهياً لعملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته حصر مصادر مشكلات البحث الاجتماعي وتصنيفها إلى أربعة ميادين : ميدان المشكلات الاجتماعية ، ثم ميدان النظم الاجتماعية . وميدان المجتمعات المحلية وأخيراً ميدان النظريات الاجتماعية وعندما وجد فريق ثان من الباحثين أن هذا الحصر لمصادر مشكلات البحث الاجتماعي ليس شاملاً في نظرهم ذهبوا في إجابتهم على السؤال : من أين تجئ مشكلات البحث الاجتماعي ؟ إلى أن هناك على الأقل ثلاث مجموعات كبرى من المواقف المشكلة

التي تؤدي إلى البحث الاجتماعي ، يمكن تصنيفها في ثلاث فئات هي : مشكلات السياسة : ونعني بها مشكلات الحياة اليومية في المجتمع ، ثم مشكلات الفلسفة الاجتماعية أو المشكلات التي يطرحها الفلاسفة والمفكرون والصحفيون ومحبو الفنون وغيرهم . والتي برغم أنها تتميز بطبيعتها الشاملة وتجاوزها نطاق العلم الاجتماعي ، إلا أنها تثير البحث الاجتماعي وتحفزه ، وأخيراً المشكلات الأساسية لتنمية العلم الاجتماعي باعتباره نظاماً فكرياً ، وهي ذلك النوع من المشكلات التي تتمثل في اختبار الفروض النظرية وإعادة صياغتها أو تطويرها استناداً إلى ما يعرف باسم التجربة الحاسمة .

ويضيف فريق ثالث من الباحثين إلى محاولات تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعي السابقة ، بهدف تسهيل عملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته ، وجهة نظر أخرى تشير إلى أن هناك مجموعة متباينة من المصادر التي يمكن أن نستقى منها مشكلات البحث الاجتماعي ، يمكن ردها إلى مجموعة الفئات التالية :

الخبرات الفردية والتخمينات وقيم الباحث واهتمامه ومعتقداته وميوله ، والمحادثات الشخصية وتبادل وجهات النظر بين الباحثين ، ثم التراث المكتوب من كتب ومجلات ، ونتائج البحوث ، وأخيراً النظريات .

الواقع أنه يمكن استناداً إلى هذه المحاولات السابقة في تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعي ، وإسهاماً منا في تسهيل عملية البحث الاجتماعي واختيار مشكلته أن نلخص هذه المصادر ونردها إلى فئتين اثنتين ، نطلق على الفئة الأولى ، اسم المصادر الذاتية ، ونعطي الفئة الثانية اسم المصادر الموضوعية . على ألا يفهم من هذا التصنيف أنه يمكن الفصل تماماً بين مصادر مشكلات البحث الاجتماعي في الواقع ، وإنما كل ما نهدف إليه من هذا الفصل هو مجرد الشرح والتفصيل تسهيلاً لعملية الفهم .

أولاً : المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي : وتضم مجموعة المصادر التي تعبر عن ذات الباحث وإرادته ، والتي تتمثل في خبراته الفردية والعلمية وقدراته على الحدس والتخمين والبداهة ، وقيمه الخاصة في البحث والحياة واهتماماته ومعتقداته وميوله ومطامحه وما يثيره من مناقشات مع غيره من الباحثين .

١- الخبرات الفردية والعلمية :

- تعتبر الخبرة الفردية والعلمية التي يتمتع ويتميز بها الباحث في مقدمة المصادر التي تمده بمشكلات البحث الاجتماعي ، وكلما اتسعت دائرة هذه الخبرة وتدعمت من خلال الممارسة والملاحظة لمواقف الحياة الاجتماعية المتباينة ، ومن خلال الاحتكاك بالدوائر العلمية في البحث المناقشة ، ومخالطة الباحثين في نفس التخصص في المناسبات العلمية والمؤتمرات ، وكذلك من خلال الاطلاع باستمرار ومتابعة آخر التطورات في نتائج الجهود العلمية في ميدان التخصص .

٢- القيم والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية :

- تنمو لدى الباحث استناداً إلى خبراته الفردية والعلمية ، مجموعة من القيم الخاصة والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية ، التي تثير بدورها مجموعة أخرى من مشكلات البحث الاجتماعي ، وتعد بالتالي مصدراً خصباً لمشكلات البحث الاجتماعي .

- فإذا كان الباحث يهتم مثلاً بالنسق الديموجرافي ويعتقد أنه أفضل الأنساق الاجتماعية فإنه قد يميل نتيجة لذلك إلى اختيار الفرض القائل بأن الجماعة الاجتماعية القائمة على أسس ديموجرافية يزيد مستوي أدائها وقيامها بالواجبات ، أو يعلو الولاء بين أعضائها ، باعتبار هذا الفرض نوعاً من أنواع المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعي .

٣- القدرة على الحدس والبداهة والتخمين

- كما قد تسهم الخبرة الفردية والعلمية للباحث في تنمية قدراته على الحدس والبداهة والتخمين وهذه الأخيرة تعد بدورها مصدراً أساسياً لاشتقاق الفروض العلمية ، التي لا تخرج عن كونها مجرد تخمينات أو حلول مقترحة أو تفسيرات مبدئية تحتاج إلى اختبار أو دراسة ، ومن ثم فإن هذه القدرات تعد مصدراً آخر يضاف إلى المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعي .

ثانياً : المصادر الموضوعية لمشكلات البحث الاجتماعي : وهي مجموعة المصادر الخارجة عن ذات الباحث وإرادته ، والتي تتمثل في التراث المكتوب والذي يضم الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية ثم نتائج البحوث الاجتماعية السابقة في ميادين وفروع علم الاجتماع المختلفة ، ثم أخيراً النظريات الاجتماعية .

١- الكتابات التاريخية والأدبية والفلسفية

- ليست المراجع العلمية فقط هي التي توحى للباحث بأفكار جديدة بل إن الكتابات التاريخية والأدبية والأصلية بما تحتويه من وصف حساس ودقيق لميدان خصب لمشكلات البحث الاجتماعي التي تصلح للدراسة . ورغم أن الباحث الاجتماعي لا يهدف بالطبع إلى استعمال كل الأوصاف البشرية التي تزخر بها هذه الاعمال التاريخية والأدبية الشهيرة إى أنه قد يجد في عالم الأدب والتراث التاريخي أفكاراً موحية عديدة تشير إلى متغيرات هامة في مواقف الحياة الاجتماعية ، تثير التساؤل وتستدعي البحث والدراسة .

٢- نتائج البحوث الاجتماعية السابقة

- أذ ينطوي ميدان التخصص في العلم الاجتماعي على عديد من الفروع التي تزايد فيها البحث ، وانتهت إلى ركام ضخم من النتائج والتي يمكن اعتبارها من أكثر المصادر الموضوعية أهمية لمشكلات البحث الاجتماعي . ومن بين فروع علم الاجتماع على سبيل المثال لا الحصر : الأسرة والاقتصاد ، والثقافة والقيم ، والسكان ، والسياسية ، والطبقات ، والجماعات ، والتنظيم ، والمدينة ، والقرية ، والتنمية ، والصناعة ، والنظم ، والتغير والمشكلات ، والانحراف ... إلخ .

أ- المشكلات الاجتماعية :

- وهي التي تتمثل في انحراف السلوك الاجتماعي عن القواعد والمعايير التي يحددها المجتمع للسلوك الاجتماعي الصحيح ، والتي يكون للمجتمع رد فعل نحوها يتراوح بين مجرد الاستنكار واللوم ، وقد يصل إلى حد العقاب الرادع .

- وتأخذ المشكلات الاجتماعية صوراً متعددة ، فقد تتراوح المشكلات الاجتماعية بين البساطة كخروج بعض الأشخاص في سلوكهم عن المألوف وعدم مراعاة الذوق ، وبين الشدة والتفاقم مثل صور السلوك الانحرافي والجريمة

ب- النظم والعمليات الاجتماعية :

- وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال النظم الاجتماعية أو العمليات ، وذلك بهدف التعرف على الكيفية التي تعمل بها هذه النظم أو الميكانيزم الذي يحكم هذه العملية أو تلك في المجتمع أو داخل إى إطار اجتماعي آخر والواقع أن التمييز بين النظم الاجتماعية والعمليات يقوم على أساس النظر إلى النظام الاجتماعي باعتباره يمثل مجموعة من القواعد والمعايير التي يستعين بها مجموعة من الأفراد ويعتمدون عليها في توجيه جانباً من جوانب حياتهم . أما العملية الاجتماعية فهي تمثل تلك العلاقات التي تتسم بالدينامية والتي تعمل إما على تجميع أو تفرقة أعضاء الجماعة أو غيرها من صور الحياة الاجتماعية .

- ومن أمثلة النظم الاجتماعية ، يمكن أن نشير إلى الأسرة والاقتصاد والطبقات والتدرج الاجتماعي وغيرها ، ويمكن أن نشير إلى عمليات التغيير الاجتماعي والتكيف والتنافس والتوافق والصراع وغيرها كأمثلة على العمليات الاجتماعية .

ج- المجتمعات المحلية " القروية - الحضرية " :

- وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال المجتمعات المحلية ، أو يجعل بحثه مركزاً حول دراسة مجتمع محلي معين ككل ، ويقصد به مجموعة من الناس يعيشون في بيئة محددة ، وينتمون إلى نسق اجتماعي معين قد يغلب عليه الطابع الحضري ، بحيث ينصرف اهتمام الباحث في هذه الدراسة إلى معرفة الجوانب المختلفة لحياة الناس في هذا المجتمع المحلي ، أو التعرف على العناصر المكونة لبناء الاجتماعي لهذا المجتمع المحلي ، ومكونات ثقافته ، والكيفية التي تترابط بها هذه المكونات وتتساند معاً في تكوين كل متكامل ، أو حتى الكيفية التي لا تترابط بها هذه المكونات والنتائج المترتبة على هذا التفكك وهكذا

- وقد يجعل الباحث مشكلة بحثه محصورة دراسة النظم الاجتماعية أو العمليات المختلفة التي توجد أو تظهر في مجتمع محلي معين منها ، كأن يهتم الباحث بدراسة نظام الأسرة في الريف أو الحضر ، من حيث أنماطه ووظائفه ، ومشكلاته ، أو يحدد بحثه في تناول عمليات الصراع بين العمال والإرادة في مصانع مجتمع المدينة ، أو في التعاون بين الفلاحين في مجتمع القرية وهكذا .

ثالثاً : النظريات الاجتماعية :

- يكمن المصدر الموضوعي الثالث لمشكلات البحث الاجتماعي في التساؤلات التي قد يثيرها القضايا النظرية المتراكمة من قبل ، ولهذا النوع من التساؤلات والمشكلات أهميته ودلالته بالنسبة لميدان التخصص كنظام فكري ، ذلك لأنه يسهم في تنميته وتطويره ، كما قد يكون له أهميته ودلالته بالنسبة لحل مشكلات الحياة اليومية في الواقع .

- وينشأ هذا النوع من المشكلات عن الاختلاف بين القضايا النظرية القائمة وبين نتائج النظرية البحوث المرتبطة بها ، أو عن التغييرات التي يمكن إدراكها في البناء النظري ، أو عن تعثر البرهان الإمبريقي في تدعيم القضايا النظرية المقبولة ،

ثالثاً : تحديد مشكلة البحث الاجتماعي :

١- عرض مشكلة البحث في عبارة واضحة :

- وهذا يتطلب أولاً وقبل كل شيء أن يكون الباحث قد فهم المشكلة بوضوح ، وأن يعبر عنها بكلمات قليلة بقدر الإمكان وفي عبارة لا تنطوي على عيب نحوي ، وذلك حتى يتمكن كل فرد من قراءاتها وفهمها ، أو حتى يسهل توصيل مضمونها إلى غيرهم من المهتمين . وأن يبعد في ذلك عن التعبيرات غير المكتملة والتي لا معنى لها ، والتي قد تمس فقط المشكلة من بعيد أو قريب ، وأن يقوم بحذف الكلمات التي لا فائدة لها ، وأن يحرص على أن تكون العبارة موجزة ، لأن هذا الاختصار يجعلها أكثر حيوية ، وأن يختار كلماته بدقة ، وأن يحسن استخدام أدوات التوضيح اللغوي مثل الفاصلة ، والنقطة ، والشرط والأقواس وما إليها .

٢- تقسيم المشكلة الأساسية إلى مشكلات فرعية :

- يدرك كل باحث واع أن المشكلة الأساسية التي يعالجها تنطوي على عناصر منطقية فرعية تعرف باسم المشكلات الفرعية ، والواقع أن حل هذه المشكلات الفرعية الواحدة تلو الأخرى هو الذي يمهد الطريق

نحو حل المشكلة الأساسية للبحث ، كما تمكن هذه المشكلات الفرعية من النظر إلى المشكلة الرئيسية نظرة أكثر شمولية .

- على أنه يتعين أن تكون كل مشكلة فرعية مستخلصة من المشكلة الرئيسية قادرة على أن تقف مستقلة باعتبارها مشروعاً فرعياً منفصلاً في إطار الهدف الأكبر للبحث . ومن هنا ، كان من الضروري التعبير عن هذه المشكلات في صورة سؤال ، يساعد الباحث على تركيز اهتمامه مباشرة على الهدف من بحث هذه المشكلة الفرعية .

٣- توضيح المسلمات :

- تستند القضية التي تعبر عن مشكلة البحث ومشكلاته الفرعية إلى مجموعة من المسلمات الأساسية ، والتي بدونها لا يكون لهذه المشكلات وجود . والمسلمات هي ما يفترضه الباحث بدلاً من حاجة إلى برهان أو تدليل . وإن معرفة ما يسلم به الباحث يعد أمراً أساسياً لمتابعة سير العمل ، وتقييم ما يرتبه على هذه المسلمات من نتائج .

- وقد يعتقد البعض أن تحديد المسلمات هو تحديد لشيء واضح ، ولكن نتيجة لأننا لا نحاول أن نترك للبحث شيئاً للصدفة ، ونحول دون حدوث سوء التفاهم ، نري ضرورة تحديد المسلمات بوضوح وبدون تحفظ .

٤- تعريف المصطلحات :

- يستعين الباحث بعدد من المصطلحات والمفاهيم في التعبير عن معنى مشكلة بحثه ومشكلاته الفرعية . وبدون معرفة ما الذي يعنيه كل مصطلح منها صراحة لا نستطيع تقييم البحث أو تحديد ما إذا كان الباحث قد أجري بحثه على ما تعنيه مشكلة بحثه أم لا ، ونجد هنا من المناسب أن نتناول هذه الأمور بالتفصيل : ونعني المصطلحات ، وتعريفها ، وما يثيره كل منها من مشكلات .

أ- المصطلحات والمفاهيم :

- تعتبر المفاهيم من أكثر الرموز أهمية فيما تنطوي عليه لغة الفكر الإنساني في أي مجال من مجالاته ، فالمفهوم عبارة عن مصطلح أو رمز يمثل أوجه الشبه بين عدد متباين من الظواهر . فالرغم من أن الرجال يختلفون فيما بينهم في كثير من سماتهم الفردية ، إلا أنهم يصنفون كلهم في فئة واحدة تعرف باسم الثدييات ، علي أساس التماثل فيما بينهم في خصائص بيولوجية معينة ... وهناك إلى جانب المفهوم مصطلح آخر له أهمية مساوية هو التغيير ، وهو بعد يمكن قياسه للمفهوم مثل طول أو ارتفاع الرجال . وينطوي علم الاجتماع على رصيد ضخم من المفاهيم والمتغيرات التي قد يعتمد عليها الباحث في التعبير عن مشكلة بحثه ، وذلك مثل مفاهيم المكانة والدور والمعيار والتفاعل .

ب- التعريفات والمؤشرات :

- ولمعرفة المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في التعبير عن مشكلة البحث وفهمها لابد من الوقوف على تعريفاتها ، ومعانيها ، وتطبيقاتها ، أو مؤشراتها . إذ تصدر معاني المصطلحات والمفهوم باعتبارها رموزاً لغوية عن تعريفاتها . والتعريف عبارة عن قول يحدد استخدام الرمز بطريقة معينة ، بمعنى أن التعريف يوضح لنا ما الذي يعنيه المصطلح . فمثلاً قد نعرف الانتحار بأنه قتل النفس بالنفس .
- والتعريفات ليست قوانين علمية أو شواهد تؤدي إليها . ويتسم التعريف بطبيعته التعسفية ، ولذلك فلا تعد التعريفات صواباً أو خطأ ، حقيقة أو كذباً ، وإنما هي مجرد قول قصد به استخدام المصطلح أو المفهوم بطريقة معينة ، أو هي أقوال اتفاقية. ونستطيع أن نميز بين نوعين من التعريفات : اسمية و إجرائية .

- وتستخدم **التعريفات الأسمية** في الحالات التي تكون فيها الكلمة المقصودة مرادفة لتعبيرات معينة أخرى ، أولها معانٍ مستقرة بالفعل . مثال ذلك تعريف التجاذب الشخصي على أنه ما يؤدي إلى الاقتراب بين الأشخاص .
- أما **التعريف الإجرائي** فيتمثل في عملية تعيين الأبعاد التي يمكن قياسها وملاحظتها في التعرف على ما يشير إلى المصطلح أو المفهوم المحدد . بحيث أنه إذا أمكن تقديم تعريف إجرائي واضح ، يمكن التوصل إلى نتائج ، وبالتالي سهل التحقق من فروضنا . غير أن التعريفات الإجرائية لمفاهيم البحث تواجه مجموعة مشكلات منها ، مشكلة تحديد الظواهر موضوع البحث ، فإذا أردنا مثلاً تقييم المشاعر التي يكونها أعضاء جماعة صغيرة متماسكة بين بعضهم البعض ، والتي قد توصف بمفهوم التضامن ، وتحدد اسماً بأنها قوة العلاقات الشخصية الإيجابية المتبادلة بينهم ، فإننا نواجه بمشكلة التعرف على الإجراء المناسب لقياس هذه القوة أو العواطف الإيجابية والمشاعر بين أعضاء الجماعة ؟ .
- وقد نهتدي إلى أن حساب عدد المرات التي يبتسم فيها الأعضاء ويسألون عن صحة وحالة زملائهم الآخرين ، يمثل قياساً لقوة العلاقات بينهم ، ولكن هذه الابتسامات قد يكون بعضها مهذباً والآخر غير ذلك ، فهل يكون القياس منصّباً على نوع دون الآخر ؟ كما أن هذه المشكلة تزداد حدتها في البحوث ذات الطابع الحضاري المقارن ، نظراً لاختلاف التعبير بالابتسام من مجتمع إلى آخر . كما تعد مشكلة توفر الملاحظين ذوي الكفاءة والمدرّبين على القياس بمثابة نموذجاً آخر على أنواع المشاكل التي تواجه عملية التعريف الإجرائي للمفاهيم .
- للتقليل من اللجوء إلى التعريف الإجرائي في البحث ، والتغلب على مشكلاته ، ولربط المتغيرات المجردة بالواقع موضوع الملاحظة ، يمكن استخدام المؤشرات ، حيث تحدد مثلاً لمفهوم مثل القيادة أبعاداً عديدة منها الوضع الأعلى والسمعة والقدرة على اتخاذ القرارات ، والمشاركة الاجتماعية .
- ولما كان من الصعب تحديد كل هذه الأبعاد بطريقة إجرائية ، يكتفي الباحث باختيار مؤشر منها أو أكثر للدلالة على المفهوم ، حتى يسهل عليه ربطه بالملاحظة ويجري دراسته على أساس علمي .
- ويعتمد اختيار واستخدام المؤشرات على توافر البيانات ، واحتمال الحصول على أنواع معينة منها ، وعلى النظرية التي توجه الباحث ... وتتأكد فائدة المؤشرات عندما تكون المفاهيم المستخدمة غامضة ، ولا يتوافر لها المقاييس المباشرة .

٥- صياغة الفروض :

- هذا ، وقد يعبر عن المشكلات الفرعية في البحث في صورة فروض ، وهنا يكون لدينا عدد من الفروض بطريقة معقولة . وعلى نحو يوضح الارتباط بين بعضها الآخر في خطة البحث ومشروعه . على أن نأخذ في اعتبارنا الشروط المنهجية في صياغة الفروض العلمية ، واشتقاقها من مصادرها المعروفة . وفي تحديد مشكلة البحث الاجتماعي على النحو السابق ، والذي يمدنا بصورة واضحة عن هذه المشكلة ، لا يجب أن يغفل الباحث ضرورة الإشارة إلى أهمية البحث ، ويوضح في اختصار الأسباب التي دفعته إلى إجرائه ، ويبين دلالتها وأهميتها النظرية ، ويشير في الوقت نفسه إلى قيمتها العلمية أو التطبيقية .

المحاضرة الثالثة : أسس خطة البحث الاجتماعي

أولاً: طبيعة خطة البحث الاجتماعي ومستلزماتها:

- أو مسودة البحث أو معالم البحث أو قضية البحث أو الخطة المبدئية للبحث بمثابة تسميات واحدة و مترادفة عرفت في تراث البحث الاجتماعي وأطلقت على ما نتعارف عليه تحت اسم **خطة البحث** .
- وعندما يقوم الباحث بوضع خطة البحث الذي يزعم القيام به ، فإنه في هذا يكون مقدا على القيام بعملية تصميم لهذا البحث ، ولذلك فإن الحديث عن خطة البحث لا ينفصل عن تصميمه .
- عندما يصمم المهندس المعماري بناء المنزل فإنه يأخذ في اعتباره كل قرار يكون من الواجب عليه اتخاذه في عملية تشييد هذا البناء كأن يأخذ في اعتباره القرار المتعلق بحجم المبنى وعدد الحجرات والمواد التي تبنى منها وهو يفعل كل ذلك قبل أن يبدأ عملية التشييد الفعلية.
- والواقع أن المهندس يشرع في هذا التصميم لأنه يرغب في تصور الصورة الكلية للبناء في جملة قبل أن يبدأ في تشييد أي جزء منه ، لأنه يستطيع بواسطة هذه الصورة أن يصحح الأخطاء ويدخل التحسينات والتعديلات اللازمة قبل أن يبدأ البناء ومن هنا كان معنى التصميم وضع خطة .
- ويستطيع المصمم في العلم الاجتماعي بالمثل أن يسجل باستخدام الرموز مختلف قرارات البحث التي يتخذها في صيغة واحدة ، ويطلق على هذا التصور أن البناء الرمزي الناتج والذي يتكون من مفاهيم وتصورات نموذج البحث أو استراتيجية أو مشروع أو خطة البحث . . .
- يعتبر تصميم البحث بمثابة **التخطيط المنسق والمنطقي الموجه لمراحل البحث** ، أو هو الخطة الشاملة لنتابع الخطوات التي يقصد الباحث إتمامها أو إنجازها لكي يحقق مجموعة أهداف بحثه .
- وقد ينظر إلى التصميم باعتباره **تطبيقاً إجرائياً للمنهج العلمي** ، إذ يعين هذا التصميم منهج البحث والطرق التي يختار الباحث استخدامها في بحثه ، إلى جانب الفكرة أو الأساس النظري الذي يستند إليه البحث فضلاً عن كل الخطوات الإدارية لتنفيذ هذا التصميم كما تتطوي مسودة التصميم على توقع للطرق البديلة التي يحتمل اللجوء إليها في تنفيذ بعض خطوات البحث .
- هكذا يعتبر التصميم بمثابة وصف تفصيلي لقرارات الباحث ولأسباب كل قرار منها ، والتي يتخذها استناداً إلى معايير العلمية المتفق عليها.
- ويفهم مما سبق أن عملية تصميم البحث ووضع خطته عملية تقوم في جوهرها على **المعقولية والرشد وتحتاج إلى معرفة فنية متخصصة** ، أكثر منها نوعاً من الفن يمكن أن يكتسب من خلال الخبرة الشخصية والممارسة ، أو متابعة البحث أثناء قيامه بهذا العمل .
- إن عملية تصميم البحث تتطلب بالمثل معرفة فنية متخصصة بالطرق البديلة وخطواتها وبمعايير تفضيل طريقة على أخرى عند تناول مشكلات البحث، هذا كله إلى جانب القدرة على الابتكار أيضاً التي تتطلبها عمليات تصميم البحث وصياغة المفاهيم أو تصور الطرق والمناهج والأدوات وأساليب تحقيقها .

ثانياً : وظيفة الخطة وأهمية التخطيط في البحث الاجتماعي :

- يتساءل البعض هنا عن قيمة وضرورة وأهمية ووظيفة تصميم البحث أو وضع خطته ، و يحذر البعض من أن تخطيط مشروع البحث قد يحتاج إلي قدر هائل من الوقت والموارد ، و يرى البعض الثالث أنه يمكن للباحث أن يدخل إلي مشكلة بحثه ويقوم بجمع هذه البيانات حول هذه المشكلة التي يطرحها بحثه .
- كشفت لنا الخبرة العلمية أن جهود البحث غير المخطط لها أو التي تأخذ بتخطيط جزئي غالباً ما تواجه بنوعين من الصعوبات فهي إما أن تنتهي إلى بيانات غير وثيقة الصلة بمشكلة البحث ، أو توصله إلى بيانات كثيرة إلي درجة يرتبك معها الباحث برغم أن هذه البيانات لها صلة مباشرة بمشكلة بحثه .

وكثيرا ما يشكو الباحثون غير ذوى الخبرة قائلين (لدينا كل هذه البيانات ولكننا لا نعرف ما الذي نصنعه بها) ، والواقع أن التصميم يقصد به تجنب مثل هذه الصعوبات وغيرها .

١- **وظيفة خطة البحث :**

• يعد مشروع البحث أو خطته أمرا جوهريا يتوقف عليه نجاح البحث كما يتوقف بناء المنزل مثلا علي الرسم الهندسي الذي يقدمه المهندس المعماري ، ولا يستطيع أحد البدء في تشيد المنزل من خلال الشروع في حفر بئر في الأرض من أجل تأسيسه ولكن قبل الإقدام علي حفر هذه الأرض علي هذا النحو، هناك تساؤلات كثيرة يجب الإجابة عليها، وقرارات عديدة لا بد من اتخاذها: أي نوع من المنازل تخطط لبنائه؟ هل سيكون من نموذج: منزل من طابقين ، أم مزرعة مواشى ؟ كيف سيكون وضع المنزل علي موقع البناء؟ أين سيكون اتجاه الفتحات؟ وهكذا يمكن أن نستمر في طرح التساؤلات.. ولكل واحد من هذه التساؤلات اهميته النسبية ويجب الإجابة علي واحد منها خاصة قبل أن نتمكن من البدء في تشيد المنزل ، وحتى بعد أن تتخذ كل من هذه القرارات، فلا يمكن أن نبدأ الحفر في الحال لأنه لا تزال هناك جوانب أولية أخرى .

٢- **أهمية التخطيط للبحث :**

• يعد التخطيط الواضح والمنسق أمرا جوهريا لإنجاح البحث علي كل مستوي وأهمية التخطيط لجهود البحث لا تقل عن أهمية البحث عن سبب المرض أو وصول الإنسان للقمر . وبرغم أن هذه المشروعات الأخيرة أكثر تعقيدا وتطورا عما قد تقوم بتخطيطه ، فإن هذا لا يغير الحقيقة القائلة بأن مشروع البحث محتاج إلى تخطيط منسق وشامل قبل أن يبدأ النشاط الفعلي ، ويعتبر مشروع البحث جوهر كل عمليات تخطيط البحث ، ويعد المشروع أمرا جوهريا لكل جهد يبذل في البحث مثلما يعتبر الرسم الهندسي أساسا لتشيد البناء فكل منهما عبارة عن خطة أساسية للعمل وكل منهما يتناول المشكلات ، ويحدد الموضوع ، والتعرف علي البيانات والمادة التي يجب استخدامها في حل الموضوع ويرسم معالم المنهج، الذي سيفاد به من المادة وسيتم به معالجة البيانات وتفسيرها .

• ولمشروع البحث أهمية كبرى من حيث أنه يمد البحث وغيره من المتهمين بالبحث بالفرصة لتقييم التصميم في جملته قبل إنفاق أي جهد ووقت أو استثمار أي مال في المشروع ، كما أن الفحص الواعي لمشروع البحث سيكشف عن قدرة الباحث علي التفكير في تفاصيل بحثه وسيوضح ما إذا كان قد استطاع تصور أبعاد هذه المهمة وما إذا كان قد أخذ في اعتباره المشكلات التي تنطوي عليه عملية التوصل إلي البيانات وما يلي ذلك من معالجة وتفسير ويحول مشروع البحث الجيد دون الوقوع في الخطأ، والشعور بالإحباط المترتب علي الجهد الذي أسئ توجيهه في بحث غير مفهوم، وكما تستطع النظر إلي الرسوم الهندسية وتوضح لنا ما إذا كان البناء المقترح سيكون كافيا للهدف الذي وضع من أجله ، فهكذا ومن خلال النظر بعناية إلى مشروع البحث يمكن أن يقول لنا الباحث ما إذا كانت مناهج البحث التي أشار إليها والبيانات التي سوف يوفرها ستؤدي إلي الحل المحتمل لمشكلته .

• تعتبر القدرة علي بناء مشروع بحث فعال بمثابة مهارة يتزايد الطلب عليها كما أن المقدرة علي عرض الأفكار من الاهمية بمكان مهما كان الميدان الذي يتخصص فيه الباحث . ويساعد كتابة مشروع البحث علي تركيز التفكير علي التفاصيل الهامة والحاسمة ، وعلي فصل القضايا المحورية وعلي الاهتمام إلي أفضل إجراء يمكن القيام به في حل المشاكل .

ثالثاً : هدف وأسلوب البحث وخطته :

- يهدف مشروع البحث إلى عرض المشكلة المراد بحثها بوضوح وبدون غموض ، ومناقشة الجهود السابقة للبحث التي قام بها باحثون آخرون لتناول مشكلات ذات صلة بمشكلات البحث أو مشتركة معها ، وتحدد بدقة البيانات الضرورية لحل المشكلة ، وتشير إلى الكيفية التي ستعالج بها البيانات وتفسرها علي وجه الخصوص . ويجب أن يشير مشروع البحث كذلك إلى أسباب الدراسة ، ويقدم فكرة عن الباحث ، ويشير إلى قائمة أساسية بالمراجع الصادرة في ميدان مشكلة البحث .
- لا يجب أن يكون مشروع البحث بمثابة عناصر محكومة بغير نظام ويعوزها الترابط . وإنما يبدأ مشروع البحث بقضية واضحة المعالم تعبر عن المشكلة المراد بحثها ، قضية تقف علي قدميها ولا تحتاج إلي أية دعائم تفسيرية . ولا تكون هناك ضرورة لمقدمة أو تمهيد أو توضيح للأسباب التي أصبح من أجلها الباحث مهتماً بالمشكلة، أو يشعر بالحاجة الماسة إلى دراستها .
- وينبغي أن نستبعد كل ما ليس من شأنه أن يسهم مباشرة في تناول المشكلة وحلها . ويشبه مشروع البحث الرسم الهندسي من حيث أنه واضح واقتصادي، ولا يحتوى إلا علي كل ما هو ضروري ويزيد علي ذلك من التفاصيل .
- وليس الرسم الهندسي عملاً فنياً، وكذلك مشروع البحث لا يعد من قبيل الإنتاج الأدبي، وذلك لأن مهمتهما ليست فنية ، وإنما يهدفان كلاهما إلى توصيل الفكرة بوضوح، وكما تعرض الرسوم الهندسية فكرة التشييد مع الاقتصاد في الخطوط والدقة في القياس ، فهكذا مشروع البحث يعرض المشكلة مع الاقتصاد في الكلمات والدقة في التعبير ويشير إلى الكيفية التي يجب بها إدارة مشروع البحث وانجازه ولا يعطى الفرصة للتعبير الفني أو التكوين الأدبي ولا التعبيرات اللفظية الزائدة عن الحد .
- إن مشروع البحث عموماً يكتب بأسلوب صارم ومعبر عنه بطريقة غير مثمرة ، ويتيح الفرصة للتعبير عن الأفكار والمعتقدات والإجراءات في قضايا واضحة ودقيقة ويتيح لكتابه فرصة توضح إلى أي حد يستطيع التعبير بوضوح ودقة عن مشكلة البحث .
- وكيف يستطيع أن يصف بدقة الأسلوب العلمي في معالجة البيانات وبأي طريقة يستطيع تحقيق الصدق المنطقي لنتائجه . وعادة ما يتم تنظيم أفكار البحث من خلال أسلوب يعرف باسم تحديد المعالم ، وحيث توضع في هذا التنظيم الأفكار الأساسية قربية من بعضها ثم توضع الأفكار الثانوية والأقل في الأهمية إلى جانب بعضها ويعطى لكل فكرة رقم يلي السابق لها ويوضح مستوى الأهمية النسبية لكل فكرة وإن كان لهذا الأسلوب عيوبه أو حدوده فهو لا يسمح إلا بالتعبير عن مجموعة من الكلمات أو جملة مختصرة للدلالة على الفكرة .
- إن كان أسلوب الكتابة التقليدي لل فقرات يسمح لنا باتباع طريقة العناوين التي يستطيع القارئ فهمها مباشرة بحيث يمكن تنظيم الأفكار بالاعتماد على طريقة العناوين والذي يبدأ بالعنوان المحوري الذي يعبر عن المشكلة الأساسية ، ثم العناوين الجانبية يلها عناوين الفقرات الفرعية .

رابعاً : مكونات خطة البحث :

- ١- تبرير البحث باعتباره حلاً للمشكلة .
- ٢- تاريخ المشكلة .
- ٣- الاطار التصوري للمشكلة .
- ٤- أهداف البحث .
- ٥- المجتمع المدروس .

- ٦- البيانات المطلوب جمعها .
- ٧- إجراءات جمع البيانات .
- ٨- تحليل البيانات التي تم جمعها .
- ٩- تنفيذ البحث .

وليس معنى هذا أن تصميم البحث الذي يشتمل على هذه المراحل هو وحده التصميم الصحيح أو الفريد ، وإنما يمثل تصميم البحث حلاً وسطاً تمليه اعتبارات عملية كثيرة في مقدمتها بنوعية المشكلة التي يقوم ببحثها . والخلفية النظرية والمنهجية للباحث وما إليها .

ولهذا عندما يقدم الباحث تصميمه للأخرين في صورة مشروع بحث مكتوبة ، فإنه قد لا يلتزم بهذه الخطوات أو العناصر أو حتى بالتتابع الذي جاءت به . ومن هنا قد تختلف البحوث في درجة تركيزها على المراحل المتباينة لتصميم أو خطة البحث ، فقد يتطلب بعضها إعطاء الإطار التاريخي قدراً بسيطاً من الاهتمام ، بينما قد يكون لهذا الإطار في بحث آخر دوراً حاسماً في حل مشكلته ، ومع أخذ هذه التحفظات في الاعتبار يمكن أن نعتمد على هذا التصور لمراحل عملية تصميم البحث أو مكوناته ونعالج كل مرحلة منها بالتفصيل على النحو التالي :

١- التبرير :

- تبدأ عملة التصميم بمحاولة الباحث إيجاد صلة وثيقة بين البحث الذي يقترحه وبين النظرية ذات الصلة أو مشكلة التطبيق والبحث الذي يبدأ بعيداً عن هذه المحاور لا يصل إلى نتائج ذات قيمة نظرية أو تطبيقية ، اللهم إذا حدث ذلك اتفاقاً أو كانت له نتيجة غير مباشرة ومهمة الباحث في هذه المرحلة هي أن يحدد ما إذا كان البحث الذي يقوم به ضرورياً في الواقع لحل مشكلة ما تواجه التطبيق أو مدى أهميته في حل بعض المشكلات النظرية في نطاق تخصصه .
- وتجعل مرحلة التبرير في عملية تصميم الباحث يحتاط من العمل في بحث ليس له فائدة محتملة في حل مشكلة أو غاية أو بلوغ هدف أيّاً كان أو من القيام بعمل لا يدفع له أي مقصد أو غاية .

٢- التاريخ :

- أ- البيانات المتوفرة على مراحل زمنية والتي تكشف عن الاتجاهات التي صارت فيها المشكلة المدروسة .
- ب- الجهود السابقة في صياغة هذه المشكلة وتوضيح أبعادها ونتائج بحوث الأخرين في تقويم وسائل استخدمت سابقاً لتحقيق أهداف مماثلة . ويمد الاستعراض التاريخي للباحث بالمعلومات عن كل ما هو معروف لكي يؤرخ لمشكلة الطرق المستخدمة في تناولها ويفيد مثل هذا الاستعراض في حماية الباحث من الإجابة على تساؤلات سبق أن توفرت عنها فعلاً اجابات من قبل أو على تساؤلات ليس هناك ضرورة لدراستها .

● ومن هنا ، فإن المعلومات المتجمعة تمد أيضاً الباحث بخلفية أو أساس لتحديد سير المراحل المتبقية من التصميم .

٣- الإطار التصوري :

- تساعد الخبرة التي اكتسبها الباحث بنفسه من المرحلتين الاثنتين السابقتين لعملية تصميم البحث ، أن يقوم ببناء إطار منطقي لبحثه المقترح . وينبغي أن يتضمن مثل هذا الإطار كل من القضايا التي يسلم بها كمعطيات أو باعتبارها قضايا معروفة (وتمثل المسلمات التي يستند إليها هذا البحث المتوقع) وتلك القضايا التي ينظر إليها على أنها غير معروفة (ومن ثم فهي تتطلب برهان من خلال البحث) .

وسيعين هذا الاطار :

- أ- المتغيرات المعتمدة والتي تشمل هدف البحث .
- ب- المتغيرات المستقلة والتي تضم وسائل تحقيق الأهداف.
- ج- الصلات العلية أو السببية التي تربط بين هذين النوعين من المتغيرات وبالمتغيرات المحتملة الأخرى التي تدخل جانباً في التحليل ، ويحدد الإطار التصوري الحدود المنطقية للبحث ويمثل الدليل الذي يمكن به للباحث أن يحكم على ما هو ذا صلة ببحثه أو ما هو غير ذلك .

٤- أهداف البحث :

- أ- كما يمكن الإطار التصوري الباحث من صياغة أهداف البحث الذي يخطط له . ونعنى بمصطلح أهداف البحث القضايا المحددة التي تمثل موضوع البحث . وتعد هذه القضايا بمثابة عبارات تتعلق بالعلاقة بين الأهداف والوسائل ذات الصلة بمشكلة البحث والتي تترتب مباشرة على الاطار التصوري وتأخذ صورة تساؤلات تحتاج إلى اجابة أو فروض مطلوب التحقيق منها ، وتحدد الوجهة التي يسير فيها البحث وكذلك تشير أهداف البحث إلى الوحدات التي تنصب عليها الملاحظة ، وما الذي يجب ملاحظته بصدد هذه الوحدات ؟ وكيف تتم عملية الملاحظات من أجل هذه تحقيق هذه الأهداف ؟ وتنبور هذه القرارات في الخطوات الباقية من تصميم البحث .

٥- جمهور البحث :

ويتطلب تصميم مرحلة جمهور البحث اتخاذ أربع قرارات :

- أ- تعيين وحدة الملاحظة.
- ب- تصميم جمهور الوحدات الذين سيتم ملاحظاتهم.
- ج- تنبى إجراء لاختيار أو ترتيب الوحدات من أجل الملاحظة.
- د- تحديد عدد الوحدات التي ستلاحظ .
- أ- وينبغي على الباحث في انجاز هذه المرحلة أي يميز بين جمهور البحث أو المجموع الفعلي من الأشخاص والأهداف أو الأحداث الذين يخضعون للملاحظة ، وبين الجمهور الهدف Target Population الذين سيتمكن الباحث من أن يطبق عليهم فعلاً أدواته في البحث أو ملاحظاته وغالباً ما لا يكون هناك فرق بينهما وهذا يتوقف على درجة التماثل بينهما والتي تحدد المدى الذي يمكن به أن تنطبق نتائج ملاحظات جمهور البحث على جمهور الهدف.

٦- البيانات :

- أ- ينبغي على الباحث أن يعين البيانات التي يلزم جمعها من جمهور البحث ويتم تحديد البيانات من خلال التعرف على المفاهيم الأساسية التي يشتمل عليها منطوق أهداف البحث أو بعد بلورة تعريفات إجرائية على هذه المفاهيم.
- ب- وتأخذ هذه التعريفات شكل المتغيرات ، والتي تشير بدورها إلى البيانات المطلوب جمعها . وتقيد هذه المجموعة من التحديدات المفصلة في حماية الباحث من جمع بيانات غير ضرورية أو ليس لها صلة في الموضوع في النهاية .

٧- جمع البيانات :

- أ- مع تحديد البيانات التي يجب جمعها ، ينبغي على الباحث أن يقرر فيما بعد الاجراءات المناسبة لعملية جمع البيانات ، مع أخذ ظروف البحث في الاعتبار ويجب عليه أن يصف بالتفاصيل الأساليب اللازم استخدامها والادوات وتعاقب الخطوات التي يجب اتباعها في استخدام هذه الطرق والأدوات وإذا كان لا

بد من استخدام أدوات معينة ، يجب أن يقوم بوصف طرق بناء هذه الأدوات ، وسوف يتوقف على تصميم إجراءات جمع البيانات لدرجة كبيرة ثبات وصدق البيانات التي تجمع.

٨- تحليل البيانات :

- عندما يتم مراجعة البيانات التي يتم جمعها على الباحث في نفس الوقت أن يحدد الإجراءات المناسبة لتحليلها ، وهنا عليه خاصة أن يقرر كيف سيتم تصنيف البيانات وتنظيمها في مجموعات من المتغيرات المحددة ؟ وكيف يتم التأكد من وجود نوع من العلاقة بين المتغيرات ؟ ولاتخاذ مثل هذه القرارات ، يتوقع الباحث بعض النتائج التي تتطلبها أهداف البحث وعلى هذا الأساس يختار الإجراءات التي يحتمل أن توصل إليها . وفي الحقيقة تمثل هذه الخطوة لتحليل البيانات اختباراً حقيقياً لتصميم البحث والذي يتطلب أيضاً من الباحث أن يتوقع حدود الاستنتاجات التي سيستخلصها .

٩- إدارة وتنفيذ البحث :

- في اللحظة التي يعرف فيها الباحث الجمهور المدروس ، وطبيعية البيانات التي يجب جمعها وأنواع الإجراءات المستخدمة في جمع وتحليل هذه البيانات هنا يتوفر للباحث أسس لاتخاذ سلسلة من القرارات الإدارية .

- فعلى الباحث أن يقدر المال والوقت والأفراد والتنظيم الذي سيتطلبه البحث المقترح. ويلاحظ أن طبيعية هذه القرارات هي التي ستحدد ما إذا كان هذا البحث ملائم أو معقولاً وهي التي تعين لنا الفوائد تعود علينا من بحث مخطط مثل هذا الأمر الذي لا يمكن التوصل إليه بدونه ، على أنه يجب أن تزيد هذه الفوائد على التكاليف الإدارية لأجراء هذه الدراسة وهذا لا يمنع أحياناً من أنه قد تفوق تكاليف التوصل إلى نتائج البحث كثيراً الفوائد المترتبة عليه .

خامساً : خصائص الخطة :

• قد يفهم البعض من عرض مكونات الخطة ومراحل تصميم البحث على النحو السابق أن خطة البحث ما هي إلا سلسلة من الخطوات المحددة والمتعاقبة أو المتراكمة ، الأمر الذي قد يضيف عليها طابع والاستاتيكية ، غير أن المفهوم الحديث للبحث وخطته بالتالي قد أوضح لنا الطبيعة الدينامية التي يمتاز بها الباحث . فمن أهم خصائص خطة البحث وتصميمه ، ومن ناحية أخرى تنطوي على **Tentative** ، أنها تعد في واقعها عملية دينامية وبمعنى أنها من ناحية قابلة للتغيير تفاعل وتأثير متبادل بين عناصرها ، أو مراحلها ، أو مكوناتها :

• يعتبر تصميم البحث أو خطته بمثابة عملية دينامية تنطوي على تفاعل وتأثير متبادل بين عناصرها أو مراحلها : فمثلاً تتبع منطقياً المراحل الثلاث الأولى – التبرير – التاريخ – والإطار التصوري – الواحدة منها تسبق الأخرى أو تسهم في عملية تعيين أهداف البحث في المرحلة الرابعة كما تنطوي عملية التطبيق الفعلي للخطة على عمليات تفاعل هام أو تتداخل أو تأثير متبادل . فمثلاً، يترتب على استعراض تاريخ المحاولات السابقة لمعالجة المشكلة المدروسة بالضرورة تعديل في الطرق البديلة والمحدودة في الخطوة الأولى .

• وبالمثال ، عندما يحاول الباحث بلورة الإطار التصوري فسوف يطرأ على فهم الباحث للمشكلة (في المرحلة الأولى) بالضرورة بعض التعديل – لذلك من المفيد أن ننظر إلى هذه المراحل الثلاث باعتبارها مجموعة فرعية ونقوم بتنفيذها على المشروع المكتوب على أنها عملية فرعية واحدة وهكذا قد يكتب الباحث بعض الملاحظات فقد على مبررات البحث مبنية على اكتشافه بطرق عمل بديلة ومعقولة .

- ويستمر بدلاً من ذلك في عرضه التاريخي لمحاولات التي عالجت المشكلة والتي توضح ما تنطوي عليه من علاقات محتملة قبل أن يبدأ في كتابة عباراته التبريرية واستعراضه التاريخي الاطار التصوري كل في صورته النهائية وبالمثال، هناك قوات تأثير متبادلة هامة وتكون عمليات فرعية بين المراحل المتبقية من عملية التصميم ، إذ يشير تعيين أهداف البحث في المرحلة الرابعة إلى الوحدات التي تمثل موضوع البحث ، وإلى خصائص هذه الوحدات التي يجب ملاحظتها وإلى طريقة التي تتم بها هذه الملاحظة وكيفية تطبيق منهج البحث .
- وهكذا ، يترتب على العبارات الموضحة لأهداف البحث في المرحلة الرابعة خطوطاً إرشادية نحو جمهور الدراسة في المرحلة الخامسة وتحدد البيانات التي نحتاج إلى جمعها (المرحلة السادسة) وإلى إجراءات جمع هذه البيانات (المرحلة السابعة) وكيفية تحليل البيانات (المرحلة الثامنة) وكل هذه الوجبات العملية ينظر إليها عادة باعتبارها تكون تصميم البحث الفعلي ، ولكن هنا ثانية تؤثر كل واحدة من هذه المراحل المتتابعة في غيرها بحث تسهم في تعديل العبارات الموضحة لأهداف البحث (في المرحلة الرابعة) .
- فمثلاً ، في تحديد جمهور الدراسة ، يجب أن يجد الباحث مجموعة من وحدات الملاحظة والتي يكون من السهل فعلاً إجراء الملاحظة عليها وهذا الجمهور الذي يمكن التواصل إليه قد يختلف من بعض الجوانب عن ذلك الذي قصد إليه في العبارات الموضحة لأهداف البحث . ولكن طالما كان هو الجمهور الذي يمكن التواصل إليه والذي ستطبق عليه النتائج فإن هذه الاختلافات يجب أن تؤثر في المرحلة الرابعة أو يكون لها نتائجها على هذه المرحلة بحيث تعدل العبارات الموضحة لأهداف البحث طبقاً لذلك .
- وبالمثل في الخطوة السادسة عندما تتم صياغة المفاهيم التي تنطوي عليها العبارات الموضحة لأهداف البحث بطريقة إجرائية في صورة متغيرات يمكن قياسها أو ملاحظتها فإنها تأخذ معاً أكثر دقة وأحياناً أكثر اختلافاً بعض الشيء عن تلك المعاني التي تنطوي عليها صورتها الأصلية .
- وهذه الاختلافات قد يكون لها أثارها المنعكسة على المرحلة الرابعة ، حيث تعدل العبارات الموضحة لأهداف البحث طبقاً لذلك وعندما يتم في المرحلة السابعة تصميم إجراءات جمع البيانات ، قد تتطلب ظروف معينة مثل خصائص وحدات الملاحظة والأخذ بأساليب ملاحظة معينة من شأنها أن تحدد الجمهور الذي يتم ملاحظته ، والبيانات التي تجمع ،
- من المهم علي الباحث أن يجعل التصميم مرناً في كل مرحلة من مراحل هذه العملية ، وبدلاً من أن يضع عبارات نهائية توضح كل مرحلة منها ، يجب علي الباحث الواعي أن يقتصر في كل قسم علي الخطوط المبدئية.
- وبعد ذلك واستناد إلي المرحلة الأخيرة، يمكن له أن يعود ويعين القرارات ويعدلها لتناسب بعضها الآخر في تصميم نهائي متكامل. ويلاحظ أن هذه المراحل التسع والتي قصد بها أن تكون موجّهات عامة قد تم التعبير عنها بمصطلحات عامة لكي تناسب معظم مشروعات البحث وإن لم يكن كلها.
- يضطر الباحث أن يحدد توقعاته للظروف الفعلية التي يحتمل أن تواجهه في كل مرحلة من مراحل البحث عند وضع مسودة التصميم، ومن ثم يعتبر البحث في جوهره بمثابة تقرير وضع مبدئياً ليوضح هذه القرارات الكثيرة قبل أن تواجهنا هذه الظروف الخاصة.
- ولكن حتى الباحث الأكثر خبره لا يستطيع أن يتنبأ بكل صعوبة يحتمل أن تنشأ في أثناء البحث المخطط، وهذا ما يفسر أهمية الدراسة الاستطلاعية لتصميم البحث أو التطبيقات علي نطاق ضيق

- التي يمكن من خلالها أن يتعرف الباحث علي العقبات والتي ستزيد-لا محالة- من استبصاره إذ تمكن المعلومات التي توفرها دراسة استطلاعية واحدة الباحث من أن يعدل تصميم بحثه أو يعيده.
- وحتى عندما يكون البحث مناسباً وقابلًا للتطبيق في النهاية فإن الباحث سيكون مضطراً إلى اتخاذ بعض القرارات والتي برغم العناية الفائقة بها لا يمكن له أن يتنبأ بأهميتها.
- ولهذا يعد تصميم البحث الذي أحسن كتابته بمثابة نتاج لقدرة كبيرة علي الملاحظة والقراءة والتشاور والتفكير في المشكلة المدروسة وفي أسلوب تناولها وقتاً طويلاً.

المحاضرة الرابعة : البحث الاستطلاعي

تمهيد :

يمثل البحث الاستطلاعي أحد صور البحث الاجتماعي، ويقف بمثابة حلقة أولى في سلسلة الحلقات التي تنقسم إليها هذه الصور المتباينة للبحث الاجتماعي، ويتخذ هذا النوع من البحوث وضعاً متميزاً بين غيره من البحوث الاجتماعية استناداً على :

- **أولاً :** الي مجموعة الأهداف التي يختص بتحقيقها دون غيره من أنواع البحوث الأخرى .
- **وثانياً :** أهميته الجوهرية في ميدان النظرية الاجتماعية .
- **وثالثاً :** الي اعتماد أنواع البحث الاجتماعي الأخرى عليه.
- وتأسيساً على هذا التمايز في الأهداف والأهمية للبحث الاستطلاعي، ينفرد هذا النوع من البحث باعتماده علي مجموعة من الإجراءات المنهجية التي تعينه علي تحقيق هذه الأهداف وتأكيد تلك الأهمية.
- حيث يعتمد البحث الاستطلاعي علي أساليب مسح التراث أولاً، ثم يفيد من عملية استشارة ذوي الخبرة، وأخيراً يجري دراسة حالة متعمقة لبعض الحالات المفيدة في هذا الصدد.

أولاً: البحوث الاستطلاعية بين البحوث الاجتماعية الأخرى :

- طبيعة هذه البحوث (Expiratory) توضح العناوين التي وضع تحتها هذا النوع من البحوث، الاستطلاعية والاستكشافية .
- وتبين أن التركيز الأساسي لها ينصب على اكتشاف الأفكار الجديدة والاستبصار المتباينة التي تعين على فهم المشكلة المدروسة في البحث .
- هذا التوصل إلي الاستبصارات أو بلورة فروض، دون محاولة اختبار هذه الفروض أو حتي التدليل على صحتها.
- أن هذا التحديد للبحث الاستطلاعي يمكن أن يفيدنا في توضيح علاقة البحث الاستطلاعي بالبحوث الاجتماعية الأخرى ، فإذا كانت هذه البحوث الاستطلاعية تختص بمهمة استكشاف الفروض فإنه يمكن النظر إلى هذه البحوث الاستطلاعية باعتباره أول خطوة في سلسلة البحث الاجتماعي ، وأن هناك أنواع أخرى من البحوث تنصرف باهتمامها نحو اختبار إمكانية تطبيق أو التحقق من صحة وسلامة تلك الفروض التي قامت الخطوة الأولى في البحث – ونعني البحث الاستطلاعي- ببلورتها.
- وعلى هذا ينظر إلي البحث الاستطلاعي في ذاته باعتباره خطوة أساسية بين مجموعة خطوات أخرى تنطوي عليها عملية البحث الاجتماعي المستمرة .

- ويتوقف العمل في مراحل البحث الأخرى التي تلى الدراسات والبحوث الاستطلاعية، وخاصة الاختيار الواعي للمناهج التي يعتمد عليها في البحوث الأخرى، في جانب كبير منه ، على :
 - البداية الصحيحة والملائمة التي يخطوها البحث الاستطلاعي .
 - كما يتوقف علي فعالية هذه الخطوة في التغلب عاي المشكلات والصعوبات التي قد تواجهها تلك المجموعة من البحوث الأخيرة .

ثانياً: أهداف البحث الاستطلاعي وأهميته :

- تهدف الكثير من البحوث الاستطلاعية إلي بلورة مشكلات تحتاج إلى بحوث أكثر دقة فيما بعد. كما تهدف هذه البحوث الاستطلاعية إلي بلورة بعض الفروض حول هذه المشكلات ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون للبحث الاستطلاعي بعض الوظائف الأخرى، حيث أنه قد يهدف إلى زيادة ألفة الباحثين بالطواهر التي يرغبون في تعميق دراستها بإجراء بحوث أخرى أكثر دقة في مواقف يطنون لإجراء بحوثهم المستقبلية حولها .
- كذلك قد يهدف البحث الاستطلاعي إلى توضيح بعض المفهومات ، فضلا عن أنه يهدف إلي تحديد الأولويات بين الموضوعات التي تحتاج بحوث مستقبلية أو قد يهدف كذلك إلي جمع معلومات تتعلق بالإمكانات الفعلية اللازمة لإجراء بحوث علي مواقف الحياة الواقعية، وكذلك قد يهدف البحث الاستطلاعي إلى إحصاء المشكلات التي قد ينظر إليها المشتغلون بأحد الميادين الاجتماعية باعتبارها مشكلات ملحة تحتاج إلي بحث فوري .
- وتفرض ظروف الحداثة النسبية التي تميز علوم المجتمع وكذلك ندرة البحوث الاجتماعية ، ضرورة إجراء المزيد من مثل هذه البحوث الاستطلاعية، ولهذا فإن البحوث الاستطلاعية، ستظل تلعب دور الريادة في مجال البحث الاجتماعي لفترة طويلة، ذلك لأن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية يواجهون بعض الصعوبات خاصة تلك المتمثلة في طابع العمومية الذي لازال يميز النظرية في هذه العلوم والذي يحتاج إلي توفير مزيد من الشواهد والأدلة الواضحة من خلال البحث الإمبريقي.
- ويحتل البحث الاستطلاعي في إطار هذه الظروف مكانة هامة وذلك بفضل ما يعاق عليه من أهمية في توفير تلك الخبرة الواقعية التي ستكون لها فائدتها في بلورة الفروض المناسبة والتي تحتاج إلى بحوث أكثر تعمقا بعد ذلك .
- نفرض مثلا أن لدينا اهتماما بالتوصل إلي قدر من الفهم والاستبصار بالعمليات التي تؤثر من خلالها البيئة الاجتماعية في الاضطرابات السيكولوجية وبالرغم من توفر الكثير من الكتابات التأملية حول هذا الموضوع .
- فقد يجد القائمون بالبحث الذين يدخلون إلي هذا المجال أنفسهم في موقف لا يسمح لهم بتقديم أية فروض دقيقة تتصل بهذا البحث .
- وتصبح هذه المهمة شاقة وصعبة المنال إذا أقدموا على هذا العمل بدون تسليحهم ببعض المعرفة المتعلقة بهذا المجال والمرتبطة بالمتغيرات الاجتماعية الرئيسية التي تؤثر في الاضطرابات السيكولوجية، وكذلك المعرفة التي تدور حول المواقف التي تحدث فيها مثل هذه المتغيرات.
- ولهذا توصف كل محاولة مسبقة في هذا المجال لبلورة بعض الفروض بالسذاجة .
- ومن ثم تكتسب الدراسة الاستطلاعية أهميتها في هذه المواقف التي يدور فيها البحث حول مشكلات لم يتوافر بصدها القدر الكافي من المعرفة بحيث يكون من المناسب تناول هذا النوع من المشكلات استنادا إلى إجراءات البحث الاستطلاعي .

- ومن المؤسف مع هذا ان نجد هناك بين المشتغلين بالبحث الاجتماعي اتجاها للتقليل من أهمية البحوث الاستطلاعية والنظر إلي البحوث التجريبية علي أنها تمثل النوع الوحيد من البحث الذي يكتسب صفة العلمية.
- والواقع أنه إذا كان للبحث التجريبي قيمة نظرية أو اجتماعية فإن هذه القيمة مستمدة من توفر مجموعة من القضايا الأعم من تلك التي تتناولها التجارب والتي يمكن استخلاصها من خلال الكشف المدقق عن أبعاد المشكلة وزيادة الاستبصار حولها، وهذا ما يختص به البحث الاستطلاعي.
- كثيرا ما ينجس الباحثون في تناول موضوعات دراساتهم ، ويرسلون الاستبيانات، ويجمعون كما هائلا من المعطيات، أو حتي قد يجرون تجارب توصلهم في النهاية إلى مجموعة نتائج لا تحقق الأهداف التي يسعون إليها بقدر ما تثير في نفوسهم التعجب والتساؤل عن ما الذي يبرهن عليه كل هذا الجهد .
- كما قد يتأثر البعض الآخر بمدى النجاح الذي يحققه منهج علمي معين في أحد الميادين ثم يتسرعون في تطبيق هذا المنهج بدون تيقن من جانبهم بطبيعة هذا المنهج ، الأمر الذي يوصلهم إلى نتائج أخري قد يقفون إزاءها متعجبين . وتدل كل هذه الخبرات على أنهم قد أخذوا في الشروع في البحث وأقدموا على هذا الجهد دون حرص منهم على تقدير أهمية البحوث الاستطلاعية التي يمكن أن يتجنب معها الباحثون كل هذا التعجب والدهشة ، باعتبار هذا النوع من البحث قد يعيننا في التعرف على إمكانية الاستفادة من تلك الاجراءات المنهجية قبل الاعتماد عليها في البحث .

ثالثاً: الاجراءات المنهجية في تصميم البحث الاستطلاعي :

وتشتمل هذه الاجراءات المنهجية على :

- ١- مسح تراث العلم الاجتماعي الذي له صلة بالموضوع المدروس ، وكذلك جوانب التراث الأخرى التي تسمح لنا باستخلاص نتائج تلقى الضوء على هذا الموضوع .
 - ٢- مسح الخبرات العلمية بين الأشخاص الذين اهتموا بالمشكلة موضوع الدراسة .
 - ٣- دراسة بعض الحالات التي تثري من فهمنا وتزيد من استبصارنا بالمشكلة المدروسة .
- وقد تستفيد معظم الدراسات الاستطلاعية من واحد أو أكثر من هذه الاجراءات المنهجية في وقت واحد.
 - ولكن مهما كان الإجراء المنهجي المستخدم والمختار في هذه الدراسة فإنه ينبغي أن ينطوي هذا الاستخدام على قدر من المرونة ، حيث أنه من الضروري مع كل تغيير يطرأ على المشكلة المدروسة من حالة كانت تنسم فيها المشكلة بالغموض في البداية إلى حالة تكتسب فيها المشكلة معنى أكثر دقة .
 - من الضروري أن تتغير أيضا إجراءات البحث لتناسب جميع المعطيات التي تسمح ببلورة الفروض المتعلقة بهذه المشكلة ، والتي تعين في الوقت نفسه على أخذ الجوانب المتباينة للمشكلة المدروسة في الاعتبار.

١- مسح التراث :

- تستند أهمية عملية مسح التراث إلى المكانة المتميزة التي يضيفها هذا العمل على الباحثين ، ذلك لأنه كلما زاد مقدار ما يعرفه الباحث من نتائج البحوث ذات الصلة بدراسته ، زادت قدرته على تناول مشكلته وإلقاء الضوء عليها.

- **تهدف هذه العملية عموماً إلى إعادة النظر مرة ثانية فيما هو متاح من تراث (التقارير التي أعدها آخرون) في الميدان المتعلق بموضوع البحث أو حتى في ميدان آخر يمكن أن تثري فهمنا بهذا الموضوع.**
- **ولعملية مسح التراث أهداف عديدة ، فهي تساعد الباحث وتعيينه على تناول مشكلة بحثه ، باعتبارها محوراً لكل جهود البحث ، ذلك أنه في اللحظة التي يكون فيها الباحث قد اختار مشكلة معينة فإنه ينبغي أن يتجه بكل جهده نحو البحث عن حل لهذه المشكلة .**
- **ويساعد وقوف البحث على ما قام به غيره من جهد في هذا الصدد ، على مده بالاستبصار والمعرفة المناسبة التي تعينه على تناول هذه المشكلة .**

ويمكن لمسح التراث أن يفيد الباحث من النواحي التالية :

- يمكنه من الكشف عن النتائج التي توصل إليها باحثون سبق أن تناولوا هذه المشكلة وتوضيح كيفية معالجتها لما ينطوي عليها هذه المشكلة من مواقف.
 - يمكنه من الإشارة إلى المنهج أو الطريقة التي يمكن بها معالجة موقف المشكلة .
 - كما يمكن أن تقترح عليه أساليب التغلب على الصعوبات المماثلة التي يحتمل أن تواجهه .
 - يمكن أن يوضح للباحث مصادر المعطيات أو البيانات التي قد لا يعلم عن وجودها شيئاً.
 - يمكن أن يعرفه بالباحثين الذين يشهد لهم بالكفاءة والأهمية ، والذين قد يعلم الباحث عن جهودهم في البحث أي شيء.
 - يساعد الباحث على أن يكون نظرة تاريخية مقارنة بمشكلة بحثه من خلال ربطها بالمحاولات السابقة التي تناولت نفس المشكلة أو مشكلة شبيهة .
 - يمكن أن يمد الباحث بأفكار جديدة ومداخل لم يسبق له العلم بها .
 - يمكن الباحث من تقييم جهوده في البحث بالمقارنة بينها وبين الجهود المماثلة الأخرى ذات الصلة .
- وعموماً تنحصر مهمة مسح التراث في الوقوف على النقاط التي انتهى إليها الآخرون قبلنا ، والتعرف على أهم أوجه النشاط التي كانت تشغلهم .**

- **وتأسيساً على هذه الأهمية والاهداف التي يسعى إليها مسح التراث كإجراء منهجي في تصميم البحوث الاستطلاعية ، قد تثار تساؤلات مؤداها : ما هو هذا التراث الذي نقدم على مسحه ؟ وأين نجده؟ وكيف يمكن مسحه والإفادة منه ؟**

- الواقع أنه إذا سلمنا بأن الهدف العام للبحث الاستطلاعي يتمثل في محاولة بلورة فروض عملية تتعلق بمشكلة جديدة بالنسبة لنا أو مشكلة أخرى تقل خبرتنا النظرية أو التطبيقية بها ونريد أن يزداد فهمنا لها من خلال هذه الفروض ، فإن حديثنا السابق عن الفروض العلمية ومصادر تكوينها ، التي تنحصر في نتائج البحوث السابقة ، والنظريات العلمية ، والكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية ، قد يساعدنا في التعرف على طبيعة التراث الذي ينبغي أن نرجع إليه ونجرب الاستعراض اللازم لهذه الدراسة الاستطلاعية.
- إذ هناك مصادر متباينة تمدنا بالمزيد من المعلومات المتعلقة بنتائج البحوث السابقة وخلصات المناقشات النظرية وتصدر في صور بحوث أو مقالات علمية أو ملخصات أو غيرها ، ويمكن أن نذكر من هذه المصادر : الفهارس Indexes والملخصات Abstracts ، والقوائم البيبلوجرافية Bibliografy والمجلات والدوريات العلمية Journals والكتب والمراجع العلمية Texts.

- وقد يعتقد البعض أن مسح القوائم البيولوجرافية سوف يستغرق وقتاً طويلاً وأن الباحث سوف لا يعثر على بحث له دلالاته وأهميته فيما يتعلق بالميدان الذى يهتم به . والواقع ان هذا الاعتقاد بعيداً عن الصواب ، وربما كان الذين يتمسكون به هم أولئك الباحثون الذين يفشلون في بناء جهودهم استناداً إلى جهود باحثين سابقين عليهم .
- ليس هناك ما يبرر القول بعدم توفر مادة وثيقة الصلة بالموضوع ، بدون البحث المتكامل فى نطاق المجالات التي يحتمل أن تضم مقالات حول الموضوع المختار للدراسة .
- وكذلك بغير البحث في نطاق منشورات من نوع الملخصات والقوائم البيولوجرافية وقوائم رسائل الدكتوراه التي أجزيت في الجامعات والتي وضعت نسخ لها في كافة المكتبات وكذلك ملخصات الرسائل التي تمدنا بها أجهزة الميكروفيلم والبحث .
- هذا فضلا عن مصادر أخرى حكومية وتنظيمات غير رسمية أو تطوعية والتي تقوم بنشر قوائم أو ملخصات للبحوث التي تجري في ميدان اهتمامنا ، والتي تصدر مجلات تضم تقارير للبحوث حول مثل هذه الموضوعات أو القضايا ذات الصلة بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها ، إذ تعتبر التنظيمات المهنية وجماعات البحوث ، والتنظيمات التطوعية بمثابة مصادر للمعلومات المتعلقة بالبحوث غير المنشورة في ميدان اهتمامها .
- وقد يجانبنا الصواب عندما نحصر أنفسنا في مسح نتائج البحوث والدراسات التي لها صلة مباشرة بالموضوع الذى يشغل اهتمامنا ، وربما كانت هناك وسيلة أخرى أكثر إثماراً في تنمية الفروض أو تكوينها تتمثل في محاولة مسح المفاهيم والنظريات التي تمت بلورتها في ميادين أو سياقات للبحث مماثلة أو مغايرة تماماً عن الميدان الذي ينشغل بدراسته الباحث.
- وهكذا قد تمدنا النظرية المتعلقة بمستويات التوافق والتي تمت بلورتها في نطاق دراسة المشكلات السيكولوجية بمماثلات مثيرة تفيد المهتمين بدراسة العوامل ذات الفعالية .
- وقد تمدنا نظرية مستوى الطموح بأفكار مناظرة يفيد من يدرسون الأهداف المتغيرة في المجتمع المحلي ، وكذلك قد تمدنا نظرية التعليم بشيء من الفهم والاستبصار بالعمليات ذات الصلة بتغيير اتجاهات الفرد ، وبمفهوم الدور ، والاعترا ب السياسي والمعايير الاجتماعية ، والحاجات السيكولوجية ، والاحباط ، وبناء الجماعات وغيرها من الموضوعات التي قد توجه انتباهنا نحو المتغيرات الهامة في كثير من المواقف الجديدة التي يمكن أن تخضع للدراسة .
- كما تعد الاوصاف الحساسة التي تنطوي عليها الكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية خاصة التي وضعها المؤلفون ذوي القدرات الخلاقة بمثابة مصدر خصب للفروض التي تحتاج إلى دراسة .
- يمكن للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن يستفيدوا من ثراء أوصاف الروايات الأدبية ، كما أنه قد يجدون في التراث الأدبي العالمي كثيراً من الإشارات أو التلميحات المثيرة والمتعلقة بالمتغيرات الهامة في المواقف التي يرغبون في دراستها .
- فمثلاً تنطوي الكتابات (آلان باتون) (Alan Paton) بعنوان الصرخة وبلد المحبوب ، ومؤلف (جان بول سارتر) عن صورة المعارض ، وكتاب (ريتشارد رايت) عن الأبن الوطني ، وكتاب (الدريدج كليثر) عن روح فوق الجليد ، تنطوي كلها على تحليلات متعمقة توضح أسباب التعصب ونتائجه.

المحاضرة الخامسة : استراتيجيات البحث الاجتماعى الأساسى

الاجراءات المنهجية فى تصميم البحث الاستطلاعى :

- هناك عدد من الإجراءات المنهجية المحدودة التي اتضح انها أكثر إثماراً في التعرف على المتغيرات الهامة وفي التوصل إلى الفروض ذات المغزى والاهمية ، أو بعبارة أخرى ، هناك بعض الاجراءات المنهجية التي تسهم في مساعدة البحث الاستطلاعي على تحقيق أهدافه ، والقيام بدوره في نمو المعرفة ، ولذلك من المتوقع أن تشمل كل محاولة لوضع استراتيجية منهجية للبحث الاستطلاعي أو اختيار الاجراءات المنهجية في تصميم هذا النوع من البحث ، على مثل هذه الاجراءات المنهجية .

وتشتمل هذه الاجراءات المنهجية على :

- ١- مسح تراث العلم الاجتماعي الذي له صلة بالموضوع المدروس ، وكذلك جوانب التراث الأخرى التي تسمح لنا باستخلاص نتائج تلقي الضوء على هذا الموضوع .
- ٢- مسح الخبرات العلمية بين الأشخاص الذين اهتموا بالمشكلة موضوع الدراسة .
- ٣- دراسة بعض الحالات التي تثري من فهمنا وتزيد من استبصارنا بالمشكلة المدروسة .

١- مسح التراث:

- تستند أهمية عملية مسح التراث إلى المكانة المتميزة التي يضيفها هذا العمل على الباحثين ، ذلك لأنه كلما زاد مقدار ما يعرفه الباحث من نتائج البحوث ذات الصلة بدراسته ، زادت قدرته على تناول مشكلته وإلقاء الضوء عليها. وتهدف هذه العملية عموماً إلى إعادة النظر مرة ثانية فيما هو متاح من تراث (التقارير التي أعدها آخرون) في الميدان المتعلق بموضوع البحث أو حتى في ميدان آخر يمكن أن تثري فهمنا بهذا الموضوع.
 - ولعملية مسح التراث أهداف عديدة ، فهي تساعد الباحث وتعيينه على تناول مشكلة بحثه ، باعتبارها محوراً لكل جهود البحث ، ذلك أنه في اللحظة التي يكون فيها الباحث قد اختار مشكلة معينة فإنه ينبغي أن يتجه بكل جهده نحو البحث عن حل لهذه المشكلة . ويساعد وقوف البحث على ما قام به غيره من جهد في هذا الصدد ، على مده بالاستبصار والمعرفة المناسبة التي تعينه على تناول هذه المشكلة . ويمكن لمسح التراث أن يفيد الباحث من النواحي التالية :
 - يمكنه من الكشف عن النتائج التي توصل إليها باحثون سبق أن تناولوا هذه المشكلة وتوضيح كيفية معالجتها لما ينطوي عليها هذه المشكلة من مواقف .
 - يمكنه من الإشارة إلى المنهج أو الطريقة التي يمكن بها معالجة موقف المشكلة كما يمكن أن تقترح عليه أساليب التغلب على الصعوبات المماثلة التي يحتمل أن تواجهه .
 - يمكن أن يوضح للباحث مصادر المعطيات أو البيانات التي قد لا يعلم عن وجودها شيئاً .
 - يساعد الباحث على أن يكون نظرة تاريخية مقارنة بمشكلة بحثه من خلال ربطها بالمحاولات السابقة التي تناولت نفس المشكلة أو مشكلة شبيهة .
 - يمكن أن يمد الباحث بأفكار جديدة ومداخل لم يسبق له العلم بها .
 - يمكن الباحث من تقييم جهوده في البحث بالمقارنة بينها وبين الجهود المماثلة الأخرى ذات الصلة .
- وعموماً تنحصر مهمة مسح التراث في الوقوف على النقاط التي انتهى إليها الآخرون قبلنا ، والتعرف على أهم أوجه النشاط التي كانت تشغلهم .

- تعتبر عملية مسح التراث والتأسيس على الجهود التي قام بها بالفعل باحثون آخرون من بين أهم الطرق التي يمكن من خلالها الاقتصاد في الجهد المبذول في أي بحث . وفي الدراسة من النوع الذي ناقشه هنا

ينصب المسح على الفروض التي يمكن أن تؤدي إلى بحوث أخرى في المستقبل . وهذه الفروض يعبر عنها صراحة باحثون سابقون في كتاباتهم المختلفة. ومن ثم فإن مهمة مسح التراث هنا تنحصر في عملية جمع تلك الفروض المتباينة والتي سبق التوصل إليها وذلك حتى يمكن تقييم فائدتها كأساس لإجراء بحوث أخرى في المستقبل ، والنظر في إمكانية أن تساعد هذه الفروض على بلورة غيرها من الفروض الجديدة ، خاصة وأنه كثيراً ما تهتم البحوث الاستطلاعية بالمجالات التي لم يتم بعد بلورة فروض حولها ، ولذلك فإن مهمة مسح التراث هنا تنحصر في التعرف على المادة المتاحة والمعطيات المتوفرة وتحسس الفروض التي يمكن اشتقاقها من تلك المادة.

وتأسيساً على هذه الأهمية والاهداف التي يسعى إليها مسح التراث كإجراء منهجي في تصميم البحوث الاستطلاعية ، قد تثار تساؤلات مؤداها : ما هو هذا التراث الذي نقدم على مسحه ؟ وأين نجده؟ وكيف يمكن مسحه والإفادة منه ؟

- والواقع أنه إذا سلمنا بأن الهدف العام للبحث الاستطلاعي يتمثل في محاولة بلورة فروض عملية تتعلق بمشكلة جديدة بالنسبة لنا أو مشكلة أخرى تقل خبرتنا النظرية أو التطبيقية بها ونريد أن يزداد فهمنا لها من خلال هذه الفروض ، فإن حديثنا السابق عن الفروض العلمية ومصادر تكوينها ، التي تنحصر في نتائج البحوث السابقة ، والنظريات العلمية ، والكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية ، قد يساعدنا في التعرف على طبيعة التراث الذي ينبغي أن نرجع إليه ونجرب الاستعراض اللازم لهذه الدراسة الاستطلاعية.

- إذ هناك مصادر متباينة تمدنا بالمزيد من المعلومات المتعلقة بنتائج البحوث السابقة و خلاصة المناقشات النظرية وتصدر في صور بحوث أو مقالات علمية أو ملخصات أو غيرها ، ويمكن أن نذكر من هذه المصادر : الفهارس Indexes والملخصات Abstracts ، والقوائم البيبلوجرافية Bibiografy والمجلات والدوريات العلمية Journals والكتب والمراجع العلمية Texts. والمراجع العلمية .

- وقد يعتقد البعض أن مسح القوائم البيبلوجرافية سوف يستغرق وقتاً طويلاً وأن الباحث سوف لا يعثر على بحث له دلالاته وأهميته فيما يتعلق بالميدان الذي يهتم به . والواقع ان هذا الاعتقاد بعيداً عن الصواب ، وربما كان الذين يتمسكون به هم أولئك الباحثون الذين يفشلون في بناء جهودهم استناداً إلى جهود باحثين سابقين عليهم . إذ ليس هناك ما يبزر القول بعدم توفر مادة وثيقة الصلة بالموضوع ، بدون البحث المتكامل في نطاق المجالات التي يحتمل أن تضم مقالات حول الموضوع المختار للدراسة .

- وكذلك بغير البحث في نطاق منشورات من نوع الملخصات والقوائم البيبلوجرافية وقوائم رسائل الدكتوراه التي أجزيت في الجامعات والتي وضعت نسخ لها في كافة المكتبات وكذلك ملخصات الرسائل التي تمدنا بها أجهزة الميكروفيلم والبحث . هذا فضلا عن مصادر أخرى حكومية وتنظيمات غير رسمية أو تطوعية والتي تقوم بنشر قوائم أو ملخصات للبحوث التي تجري في ميدان اهتمامنا ، والتي تصدر مجلات تضم تقارير للبحوث حول مثل هذه الموضوعات أو القضايا ذات الصلة بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها ، إذ تعتبر التنظيمات المهنية وجماعات البحوث ، والتنظيمات التطوعية بمثابة مصادر للمعلومات المتعلقة بالبحوث غير المنشورة في ميدان اهتمامها .

- وقد يجانبنا الصواب عندما نحصر أنفسنا في مسح نتائج البحوث والدراسات التي لها صلة مباشرة بالموضوع الذي يشغل اهتمامنا ، وربما كانت هناك وسيلة أخرى أكثر إثماراً في تنمية الفروض أو تكوينها تتمثل في محاولة مسح المفاهيم والنظريات التي تمت بلورتها في ميادين أو سياقات للبحث

مماثلة أو مغايرة تماماً عن الميدان الذي ينشغل بدراسته الباحث. وهكذا قد تمدنا النظرية المتعلقة بمستويات التوافق والتي تمت بلورتها في نطاق دراسة المشكلات السيكولوجية بمماثلات مثيرة تفيد المهتمين بدراسة العوامل ذات الفعالية : وقد تمدنا نظرية مستوى الطموح بأفكار مناظرة يفيد من يدرسون الأهداف المتغيرة في المجتمع المحلي ، وكذلك قد تمدنا نظرية التعليم بشيء من الفهم والاستبصار بالعمليات ذات الصلة بتغيير اتجاهات الفرد ، وبمفهوم الدور ، والاعتراب السياسي والمعايير الاجتماعية ، والحاجات السيكولوجية ، والاحباط ، وبناء الجماعات وغيرها من الموضوعات التي قد توجه انتباهنا نحو المتغيرات الهامة في كثير من المواقف الجديدة التي يمكن أن تخضع للدراسة .

- كما تعد الاوصاف الحساسة التي تنطوي عليها الكتابات الأدبية والتاريخية والفلسفية خاصة التي وضعها المؤلفون ذوي القدرات الخلاقة بمثابة مصدر خصب للفروض التي تحتاج إلى دراسة . إذ يمكن للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن يستفيدوا من ثراء أوصاف الروايات الأدبية ، كما أنه قد يجدون في التراث الأدبي العالمي كثيراً من الإشارات أو التلميحات المثيرة والمتعلقة بالمتغيرات الهامة في المواقف التي يرغبون في دراستها ، فمثلاً تنطوي الكتابات (آلان باتون) (Alan Paton) بعنوان الصرخة ويولد المحبوب ، ومؤلف (جان بول سارتر) عن صورة المعارض ، وكتاب (ريتشارد رايت) عن الأبن الوطني ، وكتاب (الدريدج كليشر) عن روح فوق الجليد ، تنطوي كلها على تحليلات متعمقة توضح أسباب التعصب ونتائجه .

المسح التقليدي والإلكتروني للتراث :

- ولكن أين نجد كل مصادر التراث السابقة ؟ وكيف يمكن الاستفادة منها وعرضها بطريقة تفيد في تحقيق أهداف عملية مسح التراث هذه ؟
- الواقع أن المكتبات العامة والخاصة تمدنا بكثير من الفهارس ، والملخصات والقوائم ، والمؤلفات ، وإذا اردنا أن نعرف الكيفية التي يمكن بها التعامل مع المكتبة ، وأن نتعرف على الطرق التي يسهل من خلالها الاستفادة من الأنواع الهائلة من المعلومات المتوافرة بها ، علينا أن نأخذ باعتبارنا بعض التوجيهات المثمرة التي قد تفيد الباحث المبتدئ وهو يشرع في استعراض التراث ذو الصلة ، خاصة عندما يعتمد على أسلوب المسح التقليدي .
- المؤلف عنوان المقال أو الدورية أو الكتاب ، واسم الدورية أو عنوان الكتاب ، والناشر وبلد النشر والتاريخ والصفحات المقتبسة منها ، ومصدر المعلومات البيولوجرافية ، والمكتبة التي توجد بها ، والعلاقة بالمشكلة موضوع البحث ، ثم تعليق .

وفيما يلي مثال هذا النوع من الكروت وما يشتمل عليه من عناصر :

- رقم مسلسل :
- المؤلف :
- عنوان المقال :
- عنوان المجلة :
- الجزء : الصفحة : الشهر : السنة :
- مكان النشر : الناشر : تاريخه : الطبعة :
- مصدر المعلومة البيولوجرافية بها :

- رقم الكتاب في المكتبة :
- العلاقة بالمشكلة موضوع البحث :
- التعليق :

- ويمكن للباحث أن ينسخ أكثر من صورة لهذا الكارت كلما كان ذلك ضروريا ، حتى يستطيع ترتيب هذه الكروت مرة حسب اسم المؤلف ، ومرة حسب الرقم المسلسل ، وأخري حسب الموضوع ، حتى يمكن الاختصار في الوقت والمجهود والبعد عن التكرار .
- ومن المفيد ربط الفكرة التي ينطوي عليها كل كارت بالجوانب العديدة لمشكلة البحث ، أو محاولة تقسيم هذه الفكرة ووضعها تحت عناوين مختلفة حيث تساعد كل هذه الخطوات على إضفاء طابع الدقة والتنسيق والاهتمام على جهد الباحث وتوفير الكثير من وقته .
- ومن الضروري أن يحرص الباحث على ربط النقاط التي تنطوي عليها الكروت بالمشكلة المدروسة ، بأن يضع مشكلة بحثه أمام عينه باستمرار ، ودائما ما يسأل نفسه كيف ترتبط هذه النقطة من نقاط التراث بالمشكلة موضوع البحث .
- ذلك لأن الكشف عن هذه العلاقة لا توقع الباحث تحت إغراء عملية تجميع قدر ضخم من التراث بطريقة غير منظمة .
- ولكن كيف يعرض الباحث هذه المعلومات بطريقة تحقق له أهداف عملية مسح التراث ؟ ذلك لأنه قد يجد الكثير من الباحثين صعوبة في الإفادة من هذا المسح الذي أجراه لتراث بحوثهم ، بل كثيراً ما لا يعرفون كيف يتصرفون بشأنه ، أو كيف يعرضون نتائج التوثيق الذي قاموا به ، وكيف يفيدون من الاقتباسات التي أخذوها أثناء قراءتهم .
- ويمكن الإشارة هنا إلى بعض التوجيهات التي قد تساعد الباحث على تحقيق هذا الهدف .
- أن ربط الباحث مشكلة بحثه ومناقشته له لها في صلتها بجهود الآخرين ، وتركيزه على عناصر التراث ذي الصلة ، يجعل الباحث يدرك أو يفهم موضوع بحثه في الإطار المناسب . ومن شأن هذا المسح الواعي للتراث أن يضع أمام الباحث الإمكانيات التي قد لا يكون مدركا لها ويضفي حرص الباحث على تخطيط وتنظيم عناصر التراث ، أهمية كبيرة على هذا الجهد ، ولهذا كان على الباحث أن يرسم معالم مناقشته ويسترشد في ذلك بالمشكلة التي يقوم بدراستها ، لأنها تشير عليه بالمجالات المناسبة التي تحتاج إلى مناقشة كما ترشيده إلى الوجهة التي يجب أن تأخذها عملية مناقشة التراث هذه .
- فهناك أولاً الدراسات الكلاسيكية والكتابات ذات الوجهة التاريخية التي مهدت الطريق أمام جهود البحث في هذا المجال ، وهي دراسات تتناول نطاقات أو موضوعات أوسع قد تقع في إطارها مشكلة البحث ، ويساعد الرجوع إليها على ربط نطاق الاهتمام الخاص بالأفاق التاريخية الأوسع ، وعلى تنمية منظور تاريخي يوجه جهود الباحث الخاصة .
- وهذا يعنى أن يبدأ الباحث مناقشته للتراث ذي الصلة من منظور شامل يشبه الهرم المقلوب ، القاعدة العريضة ثم يمكن له أن ينتقل بعد ذلك إلى تحليل الدراسات الأكثر تخصصاً والتي لها صلة مباشرة بالمشكلة المدروسة .

المسح الإلكتروني للتراث :

وإذا استعان الباحث بأسلوب المسح الإلكتروني للتراث الذي ظهر حديثاً ، وسهل عملية مسح التراث ، يلاحظ أن استخدام الكمبيوتر للاتصال بشبكة المعلومات العالمية يمكننا من استخدام قواعد البيانات الإلكترونية من أجل :

١- البحث عن كلمات في عنوان أو ملخص عناصر في قاعدة البيانات المرتبطة بالموضوع محل الاهتمام.

٢- البحث عن كلمات عن طريق أي عنصر مفهرس في قاعدة البيانات .

• ومع أن قواعد البيانات ربما تتضمن الكتب ، إلا أن الغالبية العظمى من العناصر عبارة عن مقالات في دوريات ، وسوف نقوم في عرضنا هذا باستخدام كلمة مقال . وتطلب بالدوريات من المؤلفين أن يوفر الكلمات الدالة Keywords وأيضا ملخص عن الموضوع ، وتوفر بعض قواعد البيانات خدمة البحث عن هذه الكلمات الدالة أيضاً في نفس الوقت مثلما توفر العناوين والملخصات.

• وهناك عدد من قواعد البيانات الإلكترونية المهمة بالبحوث الاجتماعية والمتاحة من خلال شبكة المعلومات العالمية ، ويحتوي كل منها على تفاصيل النشر في مجال الدوريات المرتبطة بموضوع الدراسة ، كما يتم إدراك بعض قواعد البيانات الرئيسية لفروع معينة من المعرفة في قائمة . ومن المهم أن نلاحظ من ناحية أخرى أن هذا المجال متغير باستمرار. وتتضمن التفاصيل على قواعد البيانات عادة ملخصات – ولكن ليس دائماً – وأحيانا تتضمن نص المقالات كاملاً.

• ومعظم قواعد البيانات باللغة الانجليزية ، وتركز على الدوريات الأساسية المنشورة باللغة الانجليزية ، على الرغم من أن مجالها يمتد ليشمل جميع أنحاء العالم . وتحمل بعض قواعد البيانات ملخصات باللغة الانجليزية لمقالات بلغات أخرى وتشير كل قاعدة بيانات إلى التاريخ الذي تم فيه وضع ملخص لدورية معينة .

• ومن المشكلات التي تواجه المستعرض للتراث هي المفردات المختلفة ، والتهجئة المستخدمة في البلدان المختلفة وفي فروع المعرفة المختلفة . أيضا ، تتغير اللغة بمرور الزمن ، ومع ظهور موضوعات جديدة فإن المفردات ربما لم تصل بعد إلى اجماع على شكل معين لها أو قواعد لضبطها . والطريقة المستخدمة تحتاج إلى استرجاع البطاقة واسعة الانتشار (والتي تقوم مقام أي حروف من الأبجدية أو أي مجموعة من الحروف) وهكذا .

• ، فالبحث عن كلمة يدرس Teach نموذج شائع لاختيار التدريس Teaching ، ومدرس Teacher ، ومدرسين Teachers ، وأيضا يدرس Teach . وربما أيضا نختار مدرسين Teacher's و Teachers ، مع أن استرجاع علامات الترفيم تتنوع بين قواعد البيانات . وهذا المصطلح أو المفردة سوف لن يختار بالطبع درس Taught .

• وتستخدم قواعد البيانات معيار بولين الجبري Boolean على نطاق واسع لتوحيد مفردات المسح . وعمليات بولين الأربعة الأساسية المستخدمة هي : و And أو OR ، لا NOT ، الأقواس أو علامات الحصر ، وتستخدم العديد من قواعد البيانات أيضاً عمليات : علامات التنصيص () ، وقريب Near .

• ويمكن استخدام مبادئ بولين الجبرية للمسح بطريقة أكثر تطوراً . على سبيل المثال ، المسح البسيط لكلمة عصابات وعنف Gangs AND violenee يمكن أن تضيق نطاق المسح إلى المقالات التي تناقش نمطاً معيناً من عنف العصابة باستخدام مسح أكثر تحديداً العنصرية والعصابة والعنف racism AND Gang AND Violence ؛ ويمكن للمسح أن يكون أكثر اتساعاً ليشمل

أيضاً المصطلحين الأولين مع العنف **Violence**؛ لكي نبحث عن مقالات عن العنف ترتبط بالعصابات ، ومقالات عن العنف ترتبط بالعنصرية متضمنة المقالات التي تشير إلى كليهما .

● وفي معظم قواعد البيانات ، فإن كتابة عبارة داخل علامات التنصيص يحصر المسح في هذه العبارة بالضبط كما تمت كتابتها داخل تلك العلامات أكثر من البحث من خلال الكلمات المفردة . على سبيل المثال ، بينما تسترجع عبارة المجتمع المحلي والرعاية **Community AND care** كل المقالات التي تظهر فيها كلا الكلمتين في أي مكان سواء في العنوان أو الملخص – ولكن ليس بالضرورة أن يكونا معاً أو بنفس الترتيب – وعندما نكتب داخل علامات التنصيص العبارة التالية مثلاً " **Community care** " فإن ذلك سوف يحصر مجال المسح في المقالات التي تظهر فيها تلك العبارة بالضبط.

● ويمكن فحص ومراجعة الأسلوب غير المؤلف المستخدم من خلال قواعد البيانات لترى المصطلحات الأقرب لموضوع دراستك ، وأيضاً من أجل الحصول على المصطلحات الملائمة. على سبيل المثال ، البحث عن مصطلح واحد غير مؤلف **Home for the Aged on Medlime** بيوت المسنين في ميدلاين – نظام مفهرس للعلاج – سيكون أكثر دقة من البحث المساوي له – ولكن عائدته مشابه – في النظام غير المفهرس مثل :

Care home * OR home* for the aged OR institutional care OR old people's home* OR old peoples home * OR out of home placement* .

● وهذا بالطبع يمكن من توحيد بحوث النظام المفهرسة باستخدام نفس المبادئ بالنسبة إلى النظم غير المفهرسة التي ذكرناها سابقاً. وتقع قواعد البيانات المفهرسة ضحية إلى أخطاء وجهل المفهرسين ، مع أن هذا النظم تتطور باستمرار في هذا المجال من الاهتمام . وإذا لم يكن ما مفهرس على نحو ملائم ، فإن المسح الذي يستخدم مصطلحات الفهرس ربما لا يستطيع إيجاد المقال ، في حين أنه من المحتمل أن يجد نص البحث.

● ومن الممكن في العديد من قواعد البيانات أن نجعل البحث محددًا إذا أخذنا في اعتبارنا الجوانب التالية : اللغة ، وسنة النشر ، والفترة الزمنية التي كتبت فيها الموضوعات ، ونوع المؤلف . ويوفر المسح عن طريق توظيف نوع البحث ميزة مفيدة على وجه الخصوص ، بشرط أن يتضمن المؤلفون هذه المعلومة في ملخصاتهم على المصطلحات في منهج العلوم الاجتماعية . ومع أن المسح يركز بصفة عامة على الموضوعات .

● إلا إنه إذا كان لديك تحديد لمؤلف معين كعالم أساسي في المجال الذي تقوم فيه بالمسح ن فإن ذلك يعد أحد المداخل للتغلب على محدودية ومميزات البحث الحالية، وذلك عن طريق البحث عن اسم الشخص ، وبذلك يسترجع المادة التي كتبها ، والتي ربما لم يتم اختيارها من خلال نص بحثك أو مصطلحات الفهرس .

● إن البحث عن الملخصات عن طريق المسح الإلكتروني ذو فاعلية عالية وعملي من حيث التكلفة ، وذلك لكونه يمكننا من مسح كمية كبيرة من المواد البيولوجرافية والتي تكون غالباً المراجع التي لا يمكن الحصول عليها بشكل كامل من خلال الطرق التقليدية على أي حال، لا يجب أن ينظر إلى تقنية المسح الإلكتروني على أنها كاملة أو مضمونة فإنه من الممكن دائماً أن يكون هناك مرجع هام لا تتوفر له الكلمات التي يجب أن نستخدمها في المسح الذي نجره سواءً في عنوانه أو ملخصه ، أو ربما تكون قاعدة البيانات التي نستخدمها لا تفهرس الدوريات .

- وعلى هذا ، يعتبر الاخذ بنصيحة الزملاء والخبراء ، وتطوير إحساسنا بالإصدارات الهامة ما عن طريق ملاحظة ما يعرضه المؤلفون . والدوريات بانتظام مفيد لبناء نظرة شاملة وعميقة للتراث كخطوة أساسية باتجاه التجميع الهادف لمعظم البحوث المهمة .

٣- استشارة الخبرة العلمية :

- لا ينطوي التراث المكتوب وعناصره المختلفة إلا على جانب بسيط من المعرفة أو الخبرة المتاحة ، وذلك لان هناك الكثير من الناس الذين يحتلون أوضاع تسمح لهم في معرض خبراتهم اليومية لتكوين جانب آخر من الخبرة والمعرفة التي يحتفظون بها في ذاكرتهم إلى لأن الظروف لا تساعدهم على نشرها ، إذ يحتمل أن يكون لدى مدير دار إيداع مثلاً قدر من الفهم والاستبصار يتعلق بخصائص الجانحين الأحداث وفاعلية الأساليب المتباينة في التعامل معهم ، وقد يكتسب القائم بالخدمة الاجتماعية في ميدان الطب النفسي حساسية للظروف البيئية التي تعوق تكيف المرض المفرج عنهم من مؤسسة عقلية ، وكذلك قد ينمو لديه فهم لتلك العوامل التي تدعم هذا التكيف ، بحيث يكتسب مثل هؤلاء المتخصصين في مجري حياتهم العملية رصيماً من الخطة قد يكون لها قيمة كبيرة في مساعدة المشتغلين بالعلوم الاجتماعية وتجعلهم على دراية بالموثرات الهامة التي لها فاعليتها في أي موقف قد تتركز عليها دراساتهم الاستطلاعية.

انتقاء الخبرات :

- وتملى علينا خاصية الاقتصاد في البحث ضرورة قيام عملية مسح الخبرات على الانتقاء الواعي ، وطالما كانت عملية مسح الخبرات تهدف إلى تحقيق نوع من الفهم والاستبصار بالعلاقات بين المتغيرات أكثر من اهتمامها بالتقارير الإحصائية المتعلقة بهذه المهنة . كان من الضروري انتقاء ذوى الخبرة الذين يحتمل أن يقدموا لنا أكثر من غيرهم في هذه الاستبصارات التي نبحت عنها أو بعبارة أخرى انتقاء عينة من الأشخاص العاملين في الميدان الذى نهتم بدراسته .
- بحيث يستبعد من مسح الخبرات هذه الأشخاص قليلي الكفاءة أو الذين يفتقرون إلى الخبرة الملائمة أو من تعوزهم القدرة على توصيل خبراتهم إلى الآخرين . وان يشمل المسح كل شخص ينظر إليه باعتباره إخباري نشطاً ، وربما كانت الطريقة المباشرة لانتقاء الإخباريين هي التي نطلب فيها من القائمين على أمر الإدارة والعاملين في الميدان الذى يريد الباحث دراسته بأن يشيروا لنا إلى الأشخاص الذين تتوفر لديهم معلومات أكثر وخبرة أنسب وقدرة أفضل على التحليل .
- وبرغم من هذه الطريقة قد تضمن لنا التوصل إلى الاشخاص الذين لديهم خبرة تحفزنا على الاستبصار والفهم إلا أنها قد توصلنا إلى الاشخاص ذوى السمعة بما لديهم من خبرة وأفكار جديدة بحيث يزداد اكتمال التواصل إلى الإخباريين الأكثر فائدة إذا أوصي أكثر من مصدر واحد مغاير للآخر فى وجهة نظره بضرورة الرجوع إلى الأشخاص معينين .
- وعلى الرغم من أن العينة العشوائية من المشتغلين في الميدان الذى يهتم به البحث قد لا تكون لها قيمة كبيرة في عملية مسح الخبرات إلا انه من المهم أن ننتقي هؤلاء الإخباريين بصورة تحقق لنا شرط تمثيل النماذج المتباينة في وجهات النظر وفى أنواع الخبرة . فمن الجوهرى مثلا في مسح الخبرات حول العوامل المؤثرة في الروح المعنوية بين المشتغلين بالصناعة ، أن تجري مقابلات شخصية مع إخباريين من بين صفوف الإدارة والعمال ، وإخباريين على مختلف المستويات في كل جماعة - العمال - ملاحظي العمال - شئون الأفراد - مديري النقابة ، وهكذا للتوصل إلى وجهات نظر متباينة .

سؤال الإخباريين :

- ومن الضروري قبل القيام بأي محاولة منظمة لجم الاستبصارات من الإخباريين أن تكون لدينا بعض الأفكار الأولية المتعلقة بالقضايا الهامة في الميدان الذي نهتم بدراسته. ويعد مسح التراث والقوائم البيولوجرافية من أحد مصادر هذه الأفكار كما أشرنا سلفاً ، ينبغي عند تكوين دليل للمقابلة الشخصية وتوجيه الأسئلة المنظمة للإخباريين أن تجري مقابلات غير مقننة مع الأشخاص الذين عرفوا بخبراتهم المكثفة في ميدان البحث و نتناول معهم او نعرض عليهم تلك المعلومات التي استخلصناها من مسح التراث .
- وعلى الرغم من أن إضفاء طابع التقنين والتنظيم على المقابلات الشخصية قد يسهم في ضمان الإجابة على التساؤلات التي يطرحها الباحث ، إلا أن الاحتفاظ بقدر من المرونة في المقابلة يتيح الفرصة أمام الإخباري لإثارة القضايا والتساؤلات التي لم يأخذها الباحث في اعتباره سلفاً من قبل . ومن المفيد عموماً في بلورة تساؤلات يعتمد عليها دليل المقابلة الشخصية مع الإخباريين ، أن نوجه انتباهنا نحو العوامل المؤثرة التي تسهم في إحداث التغيير ، ذلك لأن العاملين في الميادين الاجتماعية التطبيقية . والذين ينتبهون بالضرورة إلى الحاجات الملحة التي يحتاج إليها العمل الذي يشغلهم ، يتجهون باهتمامهم نحو تحقيق التغيير ونحو العوامل المؤثرة فيه.
- ويحتمل أن أكثر فهما وقدرة على الإجابة علي السؤال المصاغ في عبارة تطبيقية من الإجابة علي سؤال آخر يغلب عليه الطابع المجرد. ويتيح ذلك التركيز علي التغيير أمام الباحث فرصة جمع استبصارات بالعمليات التي تستمر في التأثير عبر فترة زمنية، والتي يعمل الوضع الفريد لهؤلاء المنفذين علي سهولة ملاحظتها.
- وإذا لم يكن اهتمام الباحثين منصرفاً فقط نحو العلاقات النظرية المحتملة بين المتغيرات وكانوا يهتمون أيضاً بمضامين هذه العلاقات ذات الصلة بالسلوك الاجتماعي ، فإنهم في حاجة ألي أن يعرفوا كيف تميل هذه المتغيرات إلي التجمع في جوانب حياتنا اليومية ، وكيف أن هذه المجموعات من المتغيرات التي توجد دائماً تدعم أو تعوق عملية تحقيق الأهداف المرعوبة من الناحية الاجتماعية .
- ويحتمل عموماً أن تطول المقابلة التي تهدف إلى جمع الخبرات ، وتستمر لساعات عديدة ، ومن المفضل بالنظر إلي طبيعة المعلومات المرغوب فيها، أن تعطى فرصة للإخباري ليستعد قبل عقد المقابلة بأسبوع وتسليمه نسخة من التساؤلات المطلوب مناقشتها. ويعطى هذا الإجراء للإخباري فرصة لكي يمدنا بأفكاره المتطورة ويمكنه في الوقت نفسه من استشارة زملاءه والوقوف علي معارفهم التي اكتسبوها من خبراتهم الخاصة.
- وكذلك يمكن لعملية مسح الخبرات كمصدر مناسب لاشتقاق الفروض، أن تمدنا بمعلومات تتعلق بالإمكانيات العلمية اللازمة لإجراء نماذج متباينة من البحث وتجييب علي عدة تساؤلات مثل: أين يمكن أن نجد التسهيلات التي يحتاجها البحث؟ وأي العوامل يمكن التحكم فيها ؟ وأيها يصعب التحكم فيها خاصة في المواقف التي نريد دراستها؟ وإلي حد يمكن أن تتعاون مختلف الهيئات والعاملون والمواطنون العاديون في مشروعات البحث الذي تتطلب وتتناول مشكلات هامة والتغلب عليها؟ وقد تمثل الإجابات علي هذه التساؤلات وغيرها من المشكلات العلمية المماثلة أحد النتائج الجانبية لعمليات مسح الخبرات خاصة تلك التي تتم بطريقة مخططة بعناية فضلاً عن أن مثل هذا النوع من المسح قد يمدنا بفهم المشكلات إلي ينظر إليها باعتبارها ملحة من جانب العاملين في ذلك الميدان الذي تهتم بدراسته. كما يكون لهذا الفهم فائدته القصوى في أولويات الموضوع التي يمكن أن تتناولها برامج البحث.

دراسة الحالات المثيرة للاستبصار:

- وجد الكثير من المهتمين بدراسة الميادين الحديثة نسبياً أو الموضوعات التي لم يتوافر حولها إلا قدر ضئيل من الخبرة ، أن الدراسة المتعمقة لمجموعة منتقاه من الحالات يمكن أن تمثل إجراءً منهجياً مثمراً في إثارة الاستبصارات وتنمية الفروض التي تحتاج إلى بحوث أخرى في المستقبل.
- فلقد أدت دراسات الحالة المتعمقة التي أجراها فرويد علي المرضى إلي بلورة كثير من استبصاراته النظرية ذات الدلالة . كما طرأ علي تصوراتنا للعلاقات بين السلوك الإنساني والمجتمع قدر كبير من التغير بفضل الدراسات الأنثروبولوجية لبعض الثقافات ، وخاصة جوانبها اللامادية أو غير التكنولوجية .
- ولا يقصد بدراسة بعض الحالات هنا تطبيق دراسة الحالة بالمعني الضيق علي تحليل السجلات التي تحتفظ بها الهيئات الاجتماعية في العلاج النفسي مثلاً، وإنما يقصد بها إجراء دراسة مركزة أو متعمقة لعدد منتقي من الحالات في نطاق الظاهرة التي نهتم بدراسةها.
- وقد يكون التركيز هنا علي أفراد ، أو مواقف ، أو جماعات ، أو مجتمعات محلية، كما قد نعتمد في هذه الدراسة علي فحص السجلات المتاحة ، وإجراء مقابلات غير مقننة أو ملاحظة بالمشاركة أو غيرها من أساليب البحث الاجتماعي.
- وهناك عدد من السمات المميزة لدراسة بعض الحالات علي هذا النحو تجعلها بمثابة إجراء منهجي مناسب لاستثارة الاستبصارات، فهي تسهم في تنمية استعدادات الباحثين وقدراتهم في سعيهم وراء الفهم والتعرف علي معالم الموضوع والاهتمام بعملية إعادة الصياغة والتوجيه كلما ظهرت لهم معلومات جديدة، أو كلما تغيرت نوعية المعطيات التي يقومون بجمعها.
- كما تمتاز هذه الطريقة في الدراسة بدرجة من التعمق لظروف الحالات التي تتناولها سواء كانت فرداً أو جماعة أو مجتمعاً محلياً، أو ثقافة، أو مواقف، أو حادثة مختارة في مثل هذا البحث، والذي يجتهد الباحث من خلاله في التوصل إلي المعلومات الكافية التي تعينه في تمييز وتفسير كلا من الخصائص الفريدة التي تميز الحالة المدروسة وتلك الخصائص التي تشترك فيها مع حالات أخرى. وذلك عن طريق إجراء فحص متعمق لكل من المواقف الراهن لهذه الحالات ولتواريخ حياتهم .
- كما تمتاز طريقة دراسة الحالات هذه بأهميتها في تحقيق التكامل بين جهود الباحثين ودعم قدراتهم علي تجميع مجموعة متباينة من المعلومات والتعبير عنها في تفسير موحد. ولقد أدت هذه السمة الأخيرة بكثير من النقد في نظرتهم التحليلية لطريقة دراسة الحالات المثيرة للاستبصار هذه إلي اعتبارها نوعاً من الطرق الإسقاطية التي تعكس ميول المفوضين موضع الدراسة. ولكن مع تقديرنا هذا النقد إلا أنه لا يقلل من أهمية هذه الطريقة، طالما كان هدفها هو استثارة الفروض وليس اختبارها.
- وعموماً ، وجد المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الذين استعانوا بهذه الطريقة أن دراسة عدد قليل من الحالات قد تسهم في مدنا بثروة من الاستبصارات الجديدة، وذلك بالمقارنة بحصاد الطرق الأخرى الذي لا يزيد عن عدد بسيط من الأفكار الجديدة وبرغم صعوبة وضع قواعد بسيطة تفيد في انتقاء بعض الحالات وإخضاعها للدراسة. فلقد ساعدت الخبرة بالبحوث الاستطلاعية علي حصر نماذج معينة من الحالات تفيد أكثر من غيرها في هذا الصدد .

١- الحالات المتطرفة: (الغرباء- الهامشيون- المنحرفون):

- فقد يكون الغرباء والقادمون الجدد أكثر استجابة لخصائص وسمات المجتمع المحلي والتي تخفي علي الباحث الذي نشأ في ظل هذه الثقافة، وقد يكون الشخص الغريب أكثر حساسية للعادات الاجتماعية والممارسات التي يقر بها أعضاء المجتمع المحلي دون مناقشة بحيث تؤدي الدهشة

الناتجة عن ذلك أو حب الاستطلاع إلى توجيه الانتباه نحو خصائص معينة أو معالم للحياة في هذا المجتمع المحلي لا يلاحظها أعضاء المجتمع لأنهم قد تعودوا عليها.

- ويمثل هؤلاء الغرباء والقادمون الجدد من بعض الجوانب فئة أخرى من الأفراد الهامشيين أو الجماعات والذين ينتقلون كثيرا من جماعة ثقافية إلى أخرى ويعيشون على هامش الجماعتين. ونتيجة لوضع هؤلاء الهامشيين المتردد بين جماعتين، فإنهم يعانون من الضغوط المتعارضة من جانب هاتين الجماعتين، بحيث يكون باستطاعتهم الكشف بوضوح ظاهر عن المؤثرات الرئيسية التي تلعب دورها في كل جماعة.

٢- الحالات الوسط :

- تعد أيضا حالات مثمرة في إثارة الفهم والاستبصار. مثل ذلك دراسة (ليفى) Levy عن تزايد رعاية الأم لأطفالها وأسبابه ونتائجه علي الأطفال، وكيف يمكن التغلب علي الصعوبات الناشئة عنها؟ ومن خلال تحليله لتقارير الحالات التي تعالج في بعض عيادات توجيه الأطفال، وانتقائه لحالات دراسته المتعمقة بناء علي معيارين اثنين: الأول الأمهات اللاتي يبالغن في رعايتهن لأطفالهن من الارتباط الشديد بهم، ومعاملة الأم لأطفالها باعتبارها رضع، ومنع الأمهات أطفالهن من الاستقلال في سلوكهم، والثاني يمثل الحالات الوسط بمعنى حالات الأمهات اللاتي لا يبالغن في رعاية أطفالهن، وفي الوقت نفسه لا يمهلن هؤلاء الأطفال علي أساس أن الجمع بين الرعاية والإهمال يختلف عن التزايد في الرعاية في حد ذاته، وقد يكون له أسباب ونتائج مغايرة. ولقد أسهم هذا الإجراء في توفير قدر معقول من المعلومات حول سلوك الطفل، وأنواع المشكلات المترتبة عليه، وحول فعالية العلاج.

- كما قد يساعد انتقاء الأفراد الذين يمثلون أوضاعا متباينة في البناء الاجتماعي علي مدنا بنظرة دائرية للوضع الذي يشغلونه. وقد يجد الباحث في معظم الجماعات الاجتماعية قدرا من التباين في المكانة الاجتماعية وتخصص الأدوار أو الوظائف، ويحتمل أن يتوافر لدي الأفراد الذين يشغلون هذه الأوضاع المتباينة فهما مغايرا للموقف الذي ندرسه ويعد هذا التباين مصدر خصب للاستبصارات التي نسعي إليها. وهكذا لا تقل عملية مقابلة العمال في مشروع عمل عن عملية مقابلة المدراء. ويسهم هذا في إظهار التباين وكذلك التماثل في النظرة الاجتماعية لهؤلاء الأفراد الذين يشغلون أوضاعا متباينة أو ينجزون وظائف مختلفة. في الوصول إليها، ونعني بها، مسح التراث واستشارة الخبرة العملية، ودراسة الحالات المثيرة للاستبصار، كما يوضح في الوقت نفسه أهمية البحوث الاستطلاعية، بحيث أنه إذا حدد الباحث مشكلة بحثه من بين واحد من الأهداف المعروفة للبحث الاستطلاعي والمشار إليها سلفا ، لا يجد مفرا من الالتزام بهذه الأساليب المنهجية الخاصة بالبحث الاستطلاعي وأخذها في اعتباره وهو يفكر في تناول المشكلة ويضع التصميم المنهجي المناسب لها. وهذا ما حاولت الهيئة التي أشرفت علي إجراء بحث السرقة عند الأحداث عندما حددت هدفها في التعرف علي عوامل جريمة السرقة التي انتشرت بين الأحداث في مدينة القاهرة في محاولة منها لزيادة الفتها بهذه الظاهرة .

- وحتى يتسنى لها تمهيد الطريق أمام البحوث الأخرى التالية والأكثر تعمقا، وقامت بإتباع الأساليب والاجراءات المنهجية المخصصة للبحث الاستطلاعي، بأن أجرت مسحا للتراث، وعقدت لقاءات مع ذوى الخبرة بظاهرة جناح الاحداث من رجال البوليس والقضاء ، وقامت أخيرا بإجراء دراسة حالة لبعض الاحداث الذين عرف عنهم التطرف في السرقة لتلقى من خلال ذلك الضوء علي الظروف الفيزيقية، والنفسية ، والبيئية ، والاقتصادية ، والاجتماعية لهؤلاء الاحداث ، وتبلور عدد

من النتائج المتعلقة بالأحداث من حيث فئاتهم ، وطفولتهم ، وأسرههم ، واتجاهاتهم الدينية والخلقية، ومواقفهم من التحقيق، ومن حيث أنواع السرقة وأماكن ارتكاب جرائم السرقة وظروفها وعلاقة المجني عليه بالجناة-نتائج كما هو واضح زادت من ألفة هيئة البحث بهذه المشكلة، وأوضحت جوانبها المختلفة، وحددت عناصر لها الأولوية وتستوجب الدراسة المتعمقة بعد ذلك، وخاصة ظاهرة النشل عند الأحداث، وبهذا مهدت دراساتهم الاستطلاعية للسرقة الطريق أمام بحوث أخرى أكثر تعمقا حول هذا الجانب الهام، وهو النشل عند الأحداث فيما بعد.

• وكانت الهيئة المشرفة علي بحث الهجرة الداخلية معنية أيضا بإجراء بحث استطلاعي لهذه الظاهرة من خلال حصرها للدراسات العلمية المختلفة لنفس هذه الظاهرة في مجتمعات أخرى، وتحليلها للتقارير الاحصائية التي أمكن الحصول عليها، ومن خلال دراسات حالة لمجموعة من المهاجرين إلي مدينة القاهرة من خلال اللجنة المركزية للإحصاء، والمتخصصين في القوي العاملة، ولقد ساعدتهم هذه الإجراءات المنهجية في إلقاء الضوء علي ظاهرة الهجرة الداخلية ، من حيث مناطق طرد المهاجرين وعوامل جذبهم في المدينة، ووسائل هجرتهم، وأساليب تكيفهم، وجوانب حياتهم التي طرأ عليها التغير بعد الهجرة..... إلخ

المحاضرة السادسة : تصميم البحث التاريخي ونماذج منه

تمهيد :

- مع التحولات الفكرية التي يشهدها العلم الاجتماعي في مطلع القرن الحادي والعشرين، والانتقالات التي وجهت إلى الوضعية والبحث الكمي ، تزايد الاهتمام بالبحث الكيفي باعتباره وسيلة للتغلب علي هذه الانتقالات- وقد أعيد الاهتمام بالبحث التاريخي باعتباره نموذج خالصا علي البحث الكيفي في العن الاجتماعي ، واحتل البحث التاريخي وضعا متميزا بين غيره من البحوث الاجتماعية الأخرى ، وتأكدت أهميته وأهدافه في فهم الظواهر الاجتماعية.
- يحاول البحث التاريخي الاستعانة بالمنهج التاريخي وما يتطلبه من إجراءات خاصة الاعتماد علي تحليل الوثائق التاريخية، كمصدر أولى للبيانات وبعد التأكد من مصدقتها، ثم تناول مقولة الزمن و تحقيب التاريخ ، وإجراء المقارنات اللازمة .
- وقد تداخل عمل دراس التاريخ، أو المؤرخ مع ما يقوم به القائم بالبحث التاريخي في العلم الاجتماعي ، ويحاول الاستعانة بالمنهج التاريخي في البحث.
- ولذلك برزت هناك حاجة إلي الوقوف علي الكيفية التي يمكن بها وضع تصميم منهجي مناسب للبحث التاريخي في العلم الاجتماعي تجنبا لهذا التداخل، والوقوف علي الحدود الفاصلة في استخدام المنهج التاريخي بينهما.
- وبناء علي ذلك يحاول الفصل الحالي توضيح أبعاد هذا التصميم والإشارة إلي بعض النماذج علي تنفيذه في الواقع، وإلقاء الضوء علي الإجراءات المنهجية اللازمة لوضع تصميم مناسب للبحث التاريخي، بدءا بصياغة مشكلة البحث التاريخي في صورة فروض عملية، ثم ضرورة تحديد مدي زمني للبحث ، و تحقيب هذا المدي إلي فترات تاريخية فرعية ، وعملية التنقيب عن البيانات والمادة التاريخية والتأكد من مصداقيتها، ثم استخدام أسلوب التحاليل الكيفي في معالجة بيانات البحث التاريخي ومناقشة مجموعة النماذج المتاحة علي تنفيذ البحث التاريخي في الواقع استناداً إلى متطلبات تصميم البحث التاريخي ، والكشف عن إيجابياتها وسلبياتها ، وربما أسهم ذلك في تقليل احتمالات الوقوع في الأخطاء المنهجية الشائعة والتي أخذت تتزايد بين الباحثين في الآونة الأخيرة عند إجراء بحوث تاريخي .

أولاً: البحث التاريخي بين البحوث الاجتماعية الأخرى :

- لا شك أن تنوع البحوث الاجتماعية ، وتباين حلقاتها ، قد تزايد في الآونة الأخيرة على نحو ملحوظ ، ربما ليتنوع قضايا البحث ومشكلاته ، أو لتطور أساليب البحث وأدواته ، أو اكتشاف قواعد منهجية جديدة ، أو إلى كل ذلك مجتمعاً .
- ولعله من المنطقي قبل الدخول في تفاصيل الكيفية التي يمكن بها تصميم البحث التاريخي باعتبارها واحداً من أشهر أنواع البحوث وأهمها ، وأن نحاول تسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين هذه الحلقة في البحث وبين غيرها من حلقات البحث الاجتماعي الأخرى .
- البحث التاريخي يعد من أقدم أنواع البحوث الاجتماعية على الإطلاق ، فمنذ ما يزيد على سبعة قرون ، ذهب عبد الرحمن ابن خلدون إلى القول : " أعلن أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة ، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين ... وأعلم أنه لما كانت الحقيقة للتاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم .. ولما كان الكذب متطرقاً للخبر كان ضرورياً تمحيص الخبر على تميز الصدق من الكذب .. " .
- وقد انتقل ابن خلدون من رصد مصادر الكذب في اخبار المؤرخين وكيفية تجاوزه ، إلى استخدام الحقائق التاريخية في دراسات الاجتماع الإنساني وانتهى إلى عدة قوانين من أهمها قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني .. ومنذ ذلك الوقت أضحى الباحثون في عالم الاجتماع يتوسعون في استخدام البحث التاريخي ، لما يضيفه من ثراء في فهم الظواهر الاجتماعية .
- والبحث التاريخي يمثل نموذج البحث الكيفي الأصيل ، لأنه يختار مشكلاته نوعية ويعتمد على مادة كيفية ، ويستعين بأساليب التحليل الكيفي دون سواه في معالجة هذه المادة ، وفي نتائجه يميل إلى الطبع الكيفي وإن كانت هناك بحوث أخرى اجتماعية تقترب من نموذج البحث الكيفي مثل البحث الاستطلاعي خاصة عندما يجري مسحاً للتراث والدراسات السابقة ، أو يتناول بالتحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار ، إلا أنه قد يستفيد من بعض عناصر البحث الكمي الأخرى في تحقيق أهدافه ، مثل دراسة عينه ذوي الخبرة .
- وقد تنطوي بحوث المستقبل بالمثل على بعض عناصر التحليل الكيفي ، خاصة ذلك النمط من البحوث المستقبلية الذي يعرف باسم البحوث المستقبلية المعيارية خاصة عند استناده إلى مادة كيفية وتحليلاته لحقب تاريخية .
- هذا بينما تعتمد البحوث المستقبلية الاستطلاعية على عناصر كمية ، من أهمها المادة والبيانات الكمية ، وأساليب التحليل الإحصائي المناسبة لها .
- ويعتبر البحث التاريخي من أكثر أنواع البحوث الاجتماعية صعوبة وتعقيداً وصعوبة ، وهو ما يتضح من اعتماده على مادة تاريخية يحصل عليها من مصادر ووثائق مختلفة ، ويراعى ان تكون معظم مادته هذه من مصادر أولية ، وهى نادراً ما تتوافق ، ويحتاج التنقيب عنها إلى جهد مضمّن والبحث في أماكن مختلفة ويتطلب الحث التاريخي ضرورة تحقيق التاريخ وتقسيم الزمن الذي يغطيه البحث إلى فترات زمنية فرعية ..
- هذا ناهيك عن صعوبات التحليل الكيفي للمادة التي تم جمعها ، من حيث الاختصار والعرض ، والاستنتاج .
- ولكل هذا كان البحث التاريخي غير مرحب به ، وينفر من الباحثون ويتجهون إلى ما هو أسهل في مادته وتحليلاته ، وذلك أيضاً ، كان القيام ببحث تاريخي ينطوي على شجاعة وإقدام واختيار السير في الطريق الصعب .

- والجدير بالذكر أيضاً أن البحث التاريخي ينطوي على درجة عالية من المرونة ، بمعنى إمكانية تعديل وتبديل عناصره وخطواته وإجراءاته ، وذلك في مقابل درجة التقنين والتحديد التي قد نلاحظها في أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى ، والبحث الوصفي يلتزم بمبادئ الاقتصاد في الوقت والجهود والإمكانات ، ويتوقف على توافر معرفة سابقة بالموضوع أو الظاهرة التي يقوم بوصفها ، والبحث التدريجي يلتزم بالضبط والقياس ، وتوفير مجموعات متساوية ، وظروف قياس موحدة ... إلخ ، والبحث التقويمي يظل مرتبط بالبرنامج موضوع التقييم منذ الخطوة الأولى له في وصوله إلى نتائجه . وتكون درجة المرونة الملحوظة في البحث التاريخي ما قد يظهر من مرونة في البحث الاستطلاعي .

ثانياً : أهداف البحث التاريخي وأهميته في العلم الاجتماعي:

- ربما ساعدنا التعرف على استخدامات التاريخ في البحث الاجتماعي على معرفة أهدافه وأهميته فنادراً ما يناقش الباحثون الاجتماعيون قيمة البحث التاريخي ، وهم بطبيعة الحال قد يختلفون حول الكيفية التي يجب أن يستخدم من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي الاجتماعي ، وحول مسألة مكانته المناسبة في إطار الميدان الأوسع للبحث الاجتماعي .
- وهناك قضيتان لهما دلالاتهما الجوهرية . يتعلق بعضها بمسائل كيفية تصور العلاقة بين الماضي والحاضر وترتبط الأخرى بكيفية تقدير أهمية الفهم التاريخي للظواهر الاجتماعية على وجه الخصوص . ونتوقع من خلال تناول العلاقة بين الماضي والحاضر الوقوف على أهداف البحث التاريخي في العلم الاجتماعي .

١- فصل الماضي عن الحاضر:

- إن التصور الشائع ، وليس السائد للعلاقة بين الماضي والحاضر هو أن الماضي يفهم على أنه أشبه بعالم منفصل ، خاصة من الناحية الأمبريقية والتصورية ، أو يعزل عن الحاضر .
- وفي إطار هذا التصور هناك فصل جذري للماضي والحاضر .
- ويتشكل الحاضر من مستودع ضخم من الأمثلة ويفهم الماضي أساساً على أنه مصدر أو موارد حول التنظيمات الاجتماعية والتفاعلات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي ، ويمكن أن يستخدم كمخزن هائل والاستفادة منه لأغراض البحث الاجتماعي .
- فعلى سبيل المثال يمكن النظر على الماضي على أنه يشتمل على معلومات امبيريقية حساسة يمكن على أساسها اختبار فروض معينة ، أو البناء عليها وإقامة تعميمات محدودة وبالتبادل ، قد ينظر إلى الماضي على أنه يشتمل على حصيلة من العينات الجديرة بالاهتمام حول الظواهر الاجتماعية .
- والتي ربما تمت دراستها وبحثها على أنها (حالات) ، وربما كجزء من مشروع بحث اجتماعي يهدف إلى بناء تصور للنماذج المثالية ، أو مهياً نحو بناء هذه النماذج .
- وعلى الرغم من التباينات في النسخ المحدودة في هذا التصور ، فإن كل منها يتخيل مهمة البحث التاريخي على أنها تتمثل في توفير البيانات الضرورية ، والتفاصيل التاريخية اللازمة لتسهيل إجراء مشروع البحث الاجتماعي المعنى .

وقد تشتمل الأمثلة على مثل هذا البحث التاريخي :

- ١- بحث الحالات الماضية للانهيار الاقتصادي ومحاولة التعرف على شواهد للإحياء الديني المعاصر التي قد تخدم في اختبار الفرد الذي مضمونه أن التدهور الاقتصادي قد ينشأ صوراً من الإحياء الديني .

٢- دراسة لبريطانيا في أواسط القرن التاسع عشر على أنها حالة مثالية تمثل الرأسمالية الصناعية الكلاسيكية .

٣- دراسة المجتمعات المسيحية في القرن الثالث في أنها مثال من الطائفة الدينية ، وبناءً عليها ، يمكن تصور بناء النماذج المثالية لكنيسة والطائفة .

• ومع هذه الأمثلة المشار إليها ، فسوف يعتمد النوع المحدد للبحث التاريخي الذي يمكن إجرائه على الطريقة الخاصة التي يتم بها تصور الماضي على أنه مصدر أو مورد ، وعلى الكيفية التي يفهم بها الباحث الاجتماعي مهمته ، سواءً أكانت بناءً تصويراً لمجموعة من التعميمات " تشبه القانون لتفسير التحول التاريخي والفروض المرتبطة بها ، أو تطوير ودعم المخزون العلمي الاجتماعي من النماذج والانماط المثالية .

٢- الاستمرارية بين الماضي والحاضر :

- هذا الفهم الخاص للعلاقة بين الماضي والحاضر ، وبين البحث الاجتماعي والتاريخ لم يمض دون تحد . فلقد كان الفصل الجذري للماضي عن الحاضر والتصور المرتبط به والذي يعتبر الماضي بمثابة مورد وليس أكثر من ذلك ، كان موضع تشكيك . وكذلك كانت الفكرة عن البحث الاجتماعي باعتباره يجسد ويتطلع إلى نوع من الفهم ليس تاريخياً في ذاته كانت أيضاً محل معارضة .
- وفي المقابل من هذه المواقف ، تمت الإشارة إلى أن الكثير من الحاضر يعد محصلة للماضي ، ونتاج لأفعال سابقة ونشاطات وحتى أحداث ، باختصار ، إن الكثير من الماضي ، ليس بعيداً أو انتهى او ذهب ، وإنما يظل حولنا يحيا وفي حالة جيدة . ومن هذا المنظور فإن العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه أو نقطنه ليس منفصلاً على نحو ظاهر عن الماضي ، وإنما دخل في صنع العالم ويمثل وضعا يعاد توارثه بشكل متكرر وتمر عليه الاجيال المتعاقبة ، وبذلك تستمر القضية .
- وإن كثير من الظواهر الاجتماعية الجارية تعد ظواهر تاريخية في طبيعتها ويتعذر استئصالها ، وهي تحمل على نحو متكرر علامات على جذورها ويتطلب الأمر فهمها من خلال مصطلحات تاريخية وهذه الوجهة للنظر والبديلة تتصور دوراً متميزاً للبحث التاريخي ، ليس ببساطة باعتباره يوفر شواهد مصنوعة عبر التاريخ وأمثلة يستخدمها البحث الاجتماعي ، وإنما باعتباره شريكاً كاملاً في المشروع العلمي الاجتماعي الأوسع .
- ومن ثم فإن البحث التاريخي قد ينظر إليه باعتباره صورة خاصة للبحث الاجتماعي ، حيث يهدف البحث على سبيل المثال ، إلى التعرف على أو كشف وتحليل الأصول والمصادر والأسس والأسباب التي تقف وراء الظواهر الاجتماعية على سبيل المثال .
- فقد يعزز اهتمام البحث العلمي الاجتماعي بظاهرة القومية إلى التعرف على أو تتبع نشأة وتشكل قوميات الأقلية خلال عملية إعادة بناء الجوبولتيكا (الجغرافيا السياسية) ، سواء عن طريق مؤتمرات إعادة رسم خريطة القوي في العالم .
- مثل هذا البحث يحتاج إلى أن نسير بعناية ؛ لكي نتجنب فهم الأصول المضللة ، كما يبدأ ببساطه خلال الزمن ، وفهم الأصول باعتبارها تفسيرات سببية .
- فقد تكون هناك مجموعة واحدة من العوامل هي المسؤولة عن ظهور موقف معين إلى الوجود ، بينما قد تعمل مجموعة مغايرة تماماً من العوامل على استمرار واستدامة بقائها حية لاحقاً .
- ولكن في اللحظة التي تأسست معها هذه النشاطات ، فإنها قد تستمر تمثل المصدر الذي تدعيه على نحو مستقل .

- وفى الواقع ، إن الخلافات التي أحاطت بالجدل حول قضية فيبر عن أصول الرأسمالية كشفت عن بعض المثالب ونطاق سوء الفهم الذى صاحب عموماً محاولات توفير تفسيرات تاريخية وعوامل للظواهر الاجتماعية الجارية .
- وهكذا يصبح من الواضح أن هناك أهداف محددة يسعى إليها البحث التاريخي في العلم الاجتماعي ، تبلورت بناء علي تصور العلاقة بين الماضي والحاضر، بحيث أن التسليم بأن الماضي منفصل عن الحاضر ، تجعلنا نعتبر التاريخ مورداً أو مصدراً يوفر لنا أمثلة وعينات وحالات، يمكن الاستفادة منها في البحث التاريخي ، وفي بناء تعميمات أو اختبار فروض، أو بلورة نماذج مثاليه ،حول ظواهر اجتماعية كثيرة، مثل التدهور الاقتصادي وإحياء الديني والطائفية الدينية والرأسمالية أو غيرها .
- من ناحية أخرى إن التسليم بأن الحاضر استمرار للماضي، يجعلنا نعتبر العالم الاجتماعي الذي نعيشه اليوم ، تكرار لما حدث في الماضي، وأن الظواهر الاجتماعية تاريخية في طبيعتها، ويتطلب فهمها البحث عن جذورها في الماضي، وتحليل أصولها ومصادرها وأسسها وأسبابها، بمثل ما حاول فيبر البحث عن نشأة الرأسمالية في الأخلاق البروتستانتية ، وفي ضوء هذه الأهداف التي تحددت للبحث التاريخي في العلم الاجتماعي يمكن التقدم نحو بيان الأهمية التي تعلق علي هذا النوع من البحث .
- لقد شغل تاريخ المجتمع الإنساني وظواهره والقوي الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تقف وراء التاريخ، اهتمام رواد علم الاجتماع، بدءاً من ابن خلدون واستمر هذا الاهتمام حتى وقتنا الحاضر، بل لا نبالغ في القول أنه قد أخذ في التزايد .
- ويأتي اهتمام المشتغلين بعلم الاجتماع والاستعانة بالتاريخ والأسلوب التاريخي بناء علي قناعة عملية بأن الفهم التاريخي لظواهر وموضوعات وقضايا ومشكلات علم الاجتماع .
- يعوض الكثير من النقائص في المعالجة العلمية للظواهر الاجتماعية، ويوفر مادة علمية تلقائية غالباً، ويعيده عن التصنع العلمي، الذي ينتج عن الخصائص النوعية لموضوعات علم الاجتماع وعلاقه الباحث بها قرباً وبعداً وتدخلًا.
- أضف إلي ما سبق إنه لم يعد أحد من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية اليوم يجهل وجود علاقة وثيقة بين التاريخ وعلم الاجتماع، وهي علاقة تنعكس بالإيجاب علي كلا الطرفين.
- علم الاجتماع في جده نحو بحث تطور المجتمع البشري، من حيث عوامل هذا التطور وعملياته وقوانينه، يهدف علي توظيف نتائج هذا البحث في صناعة مستقبل أفضل تتجلي فيه إرادة البشر، ويعبر من خلاله عن حاجاتهم وقدراتهم وآمالهم، ولهذا يري الكثير أن علي علم الاجتماع ان يكون علماً تاريخياً.
- بمعنى ألا يقف عند حدود العرضي والثانوي والجزئي، والآني من الظواهر الاجتماعية وأبعادها ومؤشراتها، بل عليه أن يتعمق تاريخها وصولاً إلي المطرد، والجوهري، والكلي من الظواهر، والخصائص، والأبعاد والمؤشرات، والعمليات.
- ويتطلب هذا الأمر بحثاً جاداً عن جذور الظواهر وتشابكاتها، مما يقتضي بدوره الاستناد إلي رؤية منهجية تاريخية ، وتساعد على تتبع جذور ما يدرسه وتطوراته وتدخلاته ، وهذه الرؤية بحاجة إلي مفهومات ومقولات نظرية تساعد في وضع معايير وأسس تصنيف هذه الظواهر وتلك العمليات والتمييز بينها، رؤية دينامية ، باعتباره ظواهر الكون، ومنها المجتمع البشري، في حركة تستمر، بين المد والجزر، والانحسار والانتكاس والازدهار.

- المشتغل بعلم الاجتماع في محاولته السير صوب كل هذا، لا بد له من مادة تاريخية تغطي مساحتها مطلبه العلمي من الشواهد والأدلة. ومن هنا، يمكن فهم لماذا كان كل تقدم في الدراسات التاريخية بمعناها الشامل الذي يضم التاريخ والبحث التاريخي، هو ركيزة تساعد علي تقدم علم الاجتماع وبلورة آرائه وأدواره العلمية والمجتمعية.
- ومن ناحية أخرى ، يعد كل تقدم في منهجية علم الاجتماع، بمعنى المفاهيم والقضايا النظرية والإجراءات البحثية، بمثابة ركيزة تساعد علي تقدم البحث التاريخي.
- إن الباحث التاريخي الذي يهتم بتحليل الوقائع والحوادث وتحليلها وتركيبها وقراءتها وجعلها تنطق وتكشف عن معناها، بحاجة إلي ما يساعده علي انتقاء الوقائع والحوادث والشواهد التاريخية، وتصنيفها وترتيبها وتحديد ما بينهم من علاقات وتشابكات.
- هذا الباحث يمكن أن يجد في علم الاجتماع ما يعنيه علي تطوير هذه العمليات البحثية وشحذها، هذا فضلا عن أن المعلومات والبيانات والنتائج الدقيقة التي يصل إليها المشتغل بعلم الاجتماع اليوم قد تكون من بين مادة الباحث التاريخي غدا أو بعد غد.
- وهكذا قد نجد النقائص في المعالجة العلمية للظواهر الاجتماعية ، التي لوحظت علي البحوث الكمية في علم الاجتماع، وميلها إلي التصنع العلمي ، وتجزئة الحقيقة الاجتماعية، وبعدها عن التلقائية ، تعويضا عن الكثير من هذه النقائص.
- كما أن اهتمام البحث التاريخي بدراسة تطور المجتمع البشري والتعرف علي عوامل وعمليات وقوانين هذا التطور ، بهدف توظيف نتائج هذا البحث في صنع مستقبل أفضل لهم، يعبر عن قدراتهم وآمالهم، مما يؤكد أهمية الحاجة إليه كأساس لا غنى عنه في صياغة استراتيجيات التنمية في المستقبل.

المحاضرة السابعة : استراتيجيات البحث الاجتماعي الأساسي - الإجراءات المنهجية في تصميم البحث التاريخي

ثالثا: الإجراءات المنهجية في تصميم البحث التاريخي:

ويقصد بالإجراءات المنهجية، مجموعة الخطوات والمراحل والعمليات والأساليب التي لا بد منها في وضع تصميم مناسب لهذا النوع من البحوث. وهي إجراءات يتوقع أن تكون مغايرة لما هو متبع من إجراءات في تصميم الأنواع الأخرى من البحوث الاجتماعية ، ربما كان اختلاف الموضوعات والمشكلات والقضايا والظواهر التي يعني البحث التاريخي ، وكذلك اختلاف الأهداف التي يسعى إليها هذا البحث، هو الذي يفرض عليه إتباع مثل هذه الإجراءات المحددة والخاصة . ولذلك، قد نلاحظ أن اهتمام البحث التاريخي باختيار موضوع له ومحاولة تحديده بناء علي ما يسلم به في تصوره للعلاقة بين الحاضر والماضي، ثم محاولته تحديد المدى الزمني الذي يغطيه هذا البحث التاريخي، وكيفية تقسيم هذا الزمن إلي فترات تاريخية، بمعنى تحقيب الزمن علي نحو مناسب ، وبعد ذلك تحديد نوعيه المادة و البيانات، وتحديد مصادرها والتأكد من صدقها، ثم البدء في عمليات تحليلها، تشكل في مجموعها أهم وأنسب الإجراءات المنهجية اللازمة لتصميم البحث التاريخي.

١- صياغة مشكلة البحث التاريخي في صورة فروض:

لسنا في حاجة هنا إلي التذكرة بضرورة أن يتم اختيار مشكلة البحث التاريخي في ضوء الشروط المعروفة التي تجعلها صالحة للبحث والتي سبق أن تناولناها في الفصل الثاني، وإنما ما نريد أن نؤكد هنا إن الأمر يتطلب العناية بتحديد مشكلة البحث وصياغتها علي نحو يساعد بعد ذلك السير في الإجراءات المنهجية الملائمة لتصميم البحث التاريخي. وهنا تبرز لنا أهمية الإشارة صراحة إلي المسلمات التي يستند إليها البحث، باعتبارها أحد خطوات تحديد المشكلة، كما سبق أن بيناه أيضا في الفصل الثاني، وهل يتطلق البحث من التسليم بأن الماضي الذي يدرسه منفصل عن الحاضر ، أم الاقتراض جدلا بأن الحاضر استمرار للماضي ، لأنه في الحالة الأولى يعتبر الماضي بمثابة مستودع من الحالات والعينات التي يمكن الاستدلال بها علي صحة فرض يعبر من خلاله عن الموضوع الذي يهتم بدراسته،

وفي الحالة الثانية التي يعتبر فيها أن الحاضر استمرار للماضي، ويحاول البحث عن الأسباب والأصول التي تقف وراء الظاهرة موضوع الدراسة فإنه مضطر إلى التعبير عن العلاقة بين هذه الأسباب والظاهرة المدروسة في صورة فروض أيضا يتطلب الأمر التحقق منها، وهكذا يمكن اعتبار البحث التاريخي بمثابة واحد من البحوث الاجتماعية التي تهدف إلى اختبار صحة الفروض.

٢- تحديد المدى الزمني للبحث وتقسيمه إلى فترات:

إذا كان التاريخ في نظرة البعض يعني الماضي البشري ذاته، وفي نظر البعض الآخر يعني الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره، فإن الماضي يمتد في الزمن ربما لقرون أو آلاف السنين . ولذلك كان من الصعب في البحث التاريخي ودراسة هذا الماضي استيعاب كل هذه السنوات، وكان من المنطقي أن يعمل كل بحث تاريخي علي تحديد مدي زمني ملائم سواء لإمكانيات القائم أو القائمين علي هذا البحث أفرادا أو جماعات، أو للموضوع الذي يدور حول البحث التاريخي .

فعندما فكر الباحثون في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في دراسة التغيير الاجتماعي في المجتمع المصري مستفيدين من إمكانات هذا المركز المادية والبشرية حدودا مدي زمنيا لدراساتهم وحصرها في الخمسين سنة التي بدأت بثورة يوليو عام ١٩٥٢ وانتهت في عام (٢٠٠٢) موعد انعقاد مؤتمرهم حول هذا الموضوع، وهو مدي زمني ملائم وموضوع البحث ، وما يحتاجه من إمكانيات وموارد متباينة ، متوفرة لا شك في هذه المؤسسة القومية.

ولما كان هناك صعوبة أخري تواجه البحث التاريخي عند تناوله لهذا المدي الزمني بالتحليل مرة واحدى اهتموا إلى تقسيم الفتر المدروسة إلى فترات فرعية ، تقسيمها إلى حقب زمنية فرعية ، وهذا ما لاحظناه في بعض دراسات مؤتمر المركز حول التغيير الاجتماعي في المجتمع الاجتماعي في المجتمع المصري المشار إليه سابقاً ، إذ اهتمت دراسة سياسات التنمية والتشغيل في مصر بتقسيم الفترة المدروسة (المدى الزمني البالغ خمسين عاماً) إلى حقب أو ثلاث فترات فرعية ، الفترة من يوليو ١٩٥٢ – ١٩٧٣ ، والفترة من ١٩٧٤- ١٩٨٩ ، وأخيراً الفترة من ١٩٩٠ – ٢٠٠٢ ، ولذلك تثار هنا مجموعة من تساؤلات حول تحقيق التاريخ ، ودوره ، وأهميته ، وما هي المعايير التي يمكن الاستناد إليها في هذا التقسيم

(أ) دور التحقيق (تقسيم الزمن إلى فترات) في البحث التاريخي :

يحتاج القائم بالبحث التاريخي أن يميز بعناية بين مفهومين اثنين آخرين ، غالباً ما يتم الخلط بينهما تحت العنوان العام " دراسة التاريخ " . وأول هذه المفاهيم هو البحث التاريخي الأصيل Genuine، أو المؤرخ Historiography . كما يقال أحياناً ، والمفهوم الآخر ، هو تقسيم الزمن إلى فترات ، تحديد وقت الحدوث وزمن الأحداث بالنظام الذي حدثت فيه ، وتقسيم الزم إلى فترات عادة ما يمثل مجرد قائمة بالتواريخ والأحداث ، ولذلك فهي ليست البحث ، لأن مجرد تقسيم الزمن إلى فترات يحدد وفقه الأحداث بالنظام الذي حدثت به ، ولكنه لا يتطلب تفسيراً أو معنى هذه الأحداث ، فهو من هذه الناحية يعجز عن تحقيق المطلوب الأول الذي يسعى إليه النظام الفكري (العلم) الذي يجري في إطاره البحث .

وهذا ليس معناه إن تقسيم الزمن إلى فترات لا يشغل مكاناً هاماً في الدراسة التاريخية ، وإنما هذه العملية تشكل فائدة للبحث ، كما يشكل الطحين قيمة لآلة الطحن . ويمثل الخطوة الأولى في عملية تفسير البيانات ، باعتبار التفسير عنصراً ضرورياً في كل بحث .

وهنا يطرح الباحث على قائمة التحقيق عدة أسئلة ، ما الذي نقوله هذه الأحداث وماذا تعني ، هل هي مجرد أحداث منفصلة ، أم أن هناك علاقة فيما بينها . وهي الأسئلة التي يقوم الباحث بطرحها على البيانات ، وتمثل الاتجاه الأساسي للبحث التاريخي . وأنه إذا كان علينا أن نجري بحثاً تاريخياً علينا أن لا نسعى فقط إلى التعرف على وعزل سلسلة الأحداث التي ينطوي عليها التاريخ الأصلي ، وإنما علينا أيضاً أن نفهم معناها في ضوء علاقتها بكل منها والآخر ، وبالمشكلة موضوع البحث .

وينفرد التاريخ بتعدد أبعاده ، وأحد هذه الأبعاد هو الزمن التاريخي Historical Time ، والآخر هو بعد المكان التاريخي Space ، وكلا هاتين البعدين لهما أهمية قصوى للباحث عندما يقوم بتفسير بياناته التاريخية . وإذا كنا نناقش الزمن التاريخي أولاً ؛ فهذا يرجع إلى أن التاريخ يصعب فصله عن الزمن ، الذي حدثت فيه الأحداث ، وسنفحص تقسيم الزمن إلى فترات في ضوء علاقات الزمن وتوجهاته .

ولقد أشرنا إلى أنه كلما تعددت الزوايا التي ينظر من خلالها إلى البيانات بقدر ما تصبح هذه البيانات أكثر معنى مع كل زاوية للنظر ، والبيانات التاريخية ليست استثناءً من هذه القاعدة .

وينقسم الزمن إلى فترات ، وتحديد موقع الأحداث في كل فترة ، لم يعد مجرد بنود بينها فراغات مكانية ، وإنما يصبح سلسلة من الأحداث وضعت عبر متصل Chronological data Continuum من الزمن عند النقاط المحددة لحدوثها ، وعند هذا الحد تصبح الدينامية التاريخية مسألة واضحة . والباحث التاريخي الذي يدرس أكثر من مجموعة واحدة من البيانات عبر تقسيم الزم إلى فترات في داخل نفس الإطار الزمني ، قد يتوافر له فهماً متزايداً من خلال ترتيب مقاييس خط الزمن المتعدد على شاكلة أسلوب المسطرة الحاسبة Slide –rule . وأحياناً ، تعد الطريقة الواقعة للنظر في أبعاد الزمن والمسافة في المنظور التاريخي ، هو النظر إليها بالعكس . فالبيانات التاريخية تقف في هذا المنظور على مسافة قرون أو ألفية من الباحث ، وهي تنطوي على ميل إلى أن تكون تلسكوبية (بعيدة) وتصبح مزدحمة على بعضها الآخر على نحو غير واقعي . ويمتلك الزمن التاريخي طريقة بارعة ليصبح مخادعاً إلا إذا كنا يقظين تماماً لهذه الحقيقة .

ويعنى مفهوم المجال التاريخي Historical Space إن الأحداث تقع في لحظة معينة خلال الزمن ، فهي أيضاً لها بعد مكاني مساو . وفي محاولة فهم دلالة الحقيقة التاريخية فإن يعد المكان (اين) يعد من الأهمية كما ليعد الزمن (متى) . إذ يمكن لنا ترتيب نفس الحقائق التاريخية في ثلاثة عروض منفصلة ، الأول على أنها قائمة حقب (تقسيم الزمن إلى فترات) بسيطة ، ثم عبر متصل خط زمني ، وثالثاً في علاقتها الجغرافية بعضها بالآخر . وكل ترتيب يوفر لنا فهماً إضافياً لما تنطوي عليه البيانات . ماذا تعني هذه الوقائع ؟ ويكشف الترتيب الجغرافي للمعلومات عن عدد آخر من الاستبصارات الجديدة ، لم تكن تظهر في الترتيب الزمني لها .

(ب) معايير تقسيم الزمن إلى فترات (التحقيب) في البحث التاريخي :

إذا كانت هناك تقسيمات شائعة في الكتابات التاريخية ، فإنها تستند إلى منطق وفلسفة خاصة ، وتبنى على معايير هامة من وجهة نظرها ، ربما جعلتها تخضع تقريباً لحوادث بارزة ، ثورة أو حملة عسكرية ، نظام للحكم ؛ مثال ١٩١٩ ثورة ١٩٥٢ ، أو مرحلة حكم محمد علي ، ولما كان هذا التقسيم ومعاييرها قد أخذ عليه أنه قد يحول دون أن يدرك الباحث تلك التغيرات الكيفية والمراحل الاجتماعية وحركة الجماهير ، لأنه يفرض على التاريخ مقولات ميكانيكية ، فالتغيرات في العلاقات الاجتماعية كما حدثت في الريف مثلاً ، وإن كانت قد تأثرت بقانون الإصلاح الزراعي الأول عام ١٩٥٢ ، فإن صدور القانون لا يعنى بذاته تغيراً إلا عندما يتحول القانون إلى ممارسة ، وعندما تتطابق هذه الممارسة مع الخطاب والمضمون التاريخي ، كان من المنطقي أن يبحث عالم الاجتماع في بحثه التاريخي عن معايير أخرى .

ويبنى تحقيباً نوعياً يرتبط بمراحل وتحولات اجتماعية واضحة المعالم ، ويدرك في الموقف نفسه أن حادثاً ما سياسياً أو عسكرياً كثورة ، أو حرب رغم أنه يحدث في تاريخ محدد إلا أن وقوعه يكون نتيجة مقدمات وتغيرات سابقة ، وأيضاً تغيرات لاحقة لا تظهر نتائجه إلا بعد وقوع هذا الحدث بسنوات قد تمتد إلى عدة عقود من الزمان . ولذلك فالمشتغل بعلم الاجتماع بحاجة إلى تنميط الحقب والمراحل في ضوء معايير بنيانية كيفية تعبر عن مراحل تاريخية متميزة ، وتعتبر كل منها عن تغير واضح في العلاقات الاجتماعية الجوهرية داخل البنية الاجتماعية ، أو في تفاعلها مع العوالم الخارجية .

(٣) التنقيب عن البيانات ومادة البحث والتأكد من صحتها :

يشار إلى المنهج التاريخي في سياق النظم الفكرية المتعددة وفي إطار العلوم الاجتماعية في الوقت الحاضر ، باعتباره الأساليب التي تحاول التنقيب عن مجموعة متباينة من مواد المصادر والبيانات وهي أساليب التحليل التي يتم الاستفادة منها داخل علم التاريخ كنظام فكري ، ويتم استخدامها في البحث الاجتماعي ، وعلى الرغم من أن هناك قبولاً متزايداً داخل الميدان الأوسع للبحث الاجتماعي ، إلا أن استخدام المناهج التاريخية لم يكن مرحب به دائماً ، وظلت العلاقة الدقيقة بين البحث التاريخي والاجتماعي وبين التاريخ وجوهر العلوم الاجتماعية مسألة خلافية

ويعد المنهج التاريخي بمثابة وسائل نتعامل بواسطتها مع الدلالات والمعنى الكامن في التاريخ ، فالتاريخ ظاهرة ، أو هو بمثابة نص يعكس التدفق الشديد للأحداث ، أو سجل ذو معنى لتتابع النشاط الإنساني .

ويهدف المنهج التاريخي إلى تقدير المعنى وقراءه رسالة الأحداث التي يرتبط خلالها الناس والأحداث ببعضهما الآخر على نحو له معناه ، ولذلك كان الهدف الذي يسعى إليه المنهج التاريخي ، هو تفسير ملامح الزمن الماضي والنظر فيما قد يعتبر مجرد حدوث لمصير غير معلوم في شكل مبدأ أو قانون .

ولكى يقدر الباحث التاريخي بدقه ، معنى وعلاقة الأحداث ، عليه دائماً أن يسعى بأن يكون قريباً من الأحداث الأصلية بقدر ما يستطيع على أمل يمكنه من إعادة بناء التاريخ على نحو أفضل من الناحية التصويرية .

ولذلك فإن الباحث التاريخي يعتمد عموماً على المصادر الموثقة ، بالرغم من أن كل ما يصنعه الإنسان Artifacts قد تم دراسته إما في ذاته أو في علاقته بالشواهد الموثقة ، . ولذلك فإن الباحث في سعيه نحو الحقيقة التاريخية يعتمد بقدر الإمكان على البيانات الأولية فقط Primary data ، لأن استخدام البيانات الأولية يميل إلى تأكيد درجة تكامل الدراسة وقوة ثباتها .

وعند النظر إلى مادة البحث التاريخي Historical Research Materials نجد أن المواد والبيانات التي تستخدم في التحليل في نظام فكري مثل علم التاريخ تتميز بعدم التجانس إلى حد كبير ، وبأنها تنتشر عبر مجموعة متباينة من التخصصات وفروع النظم الفكرية التي تتأرجح عبر سلسلة الخبرة الإنسانية التاريخية . وهذا ما يضيف على مهمة توفير تعريف شامل وواف شياً من الصعوبة . وبدلاً من ذلك ، سوف نقدم هنا مسحاَ انتقائياً مختصراً لبعض المصادر الأكثر شيوعاً في استخدامها ولمن يقومون باستخدامها ، لكي نشير إلى التباين الواضح للمواد ومصادرها ، والتباينات في استخداماتها والتي خصصت له .

وسوف تعتمد مادة المصادر التي تؤخذ في الاعتبار واستخدامها في البحث التاريخي ، على الموضوع محل البحث ، ودرجة اهتمام الباحث خاصة بهذا الموضوع ، وطالما أن البحث التاريخي لا يحتل وضعاً تعزّز به الدولة فإن الأمر يتطلب استخدام مجموعة بديلة من المصادر في العادة .

وهذه المصادر تشمل مجموعة أوسع من المواد ، ويدخل فيها مصادر من وثائق غير رسمية ، مثل خطابات بين الأفراد ، ووثائق الاستقرار الزواجي ، وعقود الإيجار ، ووثائق السفر ، والخرائط ، والإعلانات التجارية . وقد يضاف إلى ذلك ثلثاً : مجموعة من المصادر الغير مكتوبة ، ولا زالت تعيش في الذاكرة الشعبية ، مثل الفلكلور والأغاني والأشعار الشفهية . وأكثر من ذلك ، المادة الفنية ، مثل الآثار والمباني والأدوات والآلات ، وقد تستخدم كمصادر ، سواء كبدل لمصادر أخرى ، أو توفير الفهم والمعلومات والشواهد التي لا يحتمل أن توفرها المصادر المكتوبة وفي النهاية ، قد يتم استخدام خليط من المصادر ذات الخصائص المختلفة ، مثل أسماء الأماكن ، والأوصاف على الأضرحة ، والطقوس المتباينة والممارسات الشعائرية بهدف إلقاء الضوء على الحياة الماضية . وهنا يثار سؤال ؟ كيف يمكن التعرف على المصادر الأكثر ملائمة أو ما هو أساس الاختيار فيما بينهما ؟ هذه المجموعة العسوية unruly من مادة المصادر في الأساس والمتاحة للباحثين التاريخيين تلقى على عاتقهم مهمة التعرف على اختيار المصادر الأكثر ملائمة التي يمكن العمل عليها .

ومن المحددات الحاسمة في عملية الاختيار هذه ، نذكر الموضوع المحدد والمخصص للبحث والاهتمام الخاص بالباحث . فعلى سبيل المثال ، ان الباحث المهتم بالكشف عن جوانب الهجرة الأوربية إلى أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر ، قد يعنى بعملية صدور قوانين الهجرة الدولية والسياسات في كل كندا والولايات المتحدة . وهذا قد يتطلب أن يركز على الوثائق الرسمية المناسبة الخاصة بالحكومة في هذا الأمر ، وقد يهتم باحث آخر بخبرات المهاجرين ، وهم على ظهر السفينة في رحلتهم عبر الأطلنطي وسعيهم للتكيف مع الحياة الجديدة وظروفها . وهذا قد يتطلب استخدام سجلات السفن Log Book ورحلات النقل التجاري التي تحمل المهاجرين من أوروبا ويضاف ذلك إلى تقارير المصاحبين لهؤلاء الركاب مثل الكتب والتجار ، ويزيد عليها المصاحبين بين المهاجرين من أقاربهم العائدين ، وعلى أية حال ، وكما توضح هذه الأمثلة ، فإن البحث التاريخي يعتمد أساساً على حيوية المصادر .

فقد تكون وثائق الهجرة الخارجية قد تعرضت للتمزيق ، ولم يتم الاحتفاظ بالخطابات التي يرسلها المهاجرين إلى بلادهم ، وحتى إذا احتفظ بها الأصدقاء والأسرة ، فإنها لم يتم جمعها وتخزينها من أجل استخدامات الباحثين في المستقبل . وهذا يسلط الضوء على العامل الأكثر أهمية والوحيد في عملية اختيار مادة المصادر ، وهو الذي يتمثل في نسختها الأصلية وحيويتها الباقية .

والحقيقة أن الباحثين التاريخيين يعتمدون أيضاً على تقلبات البشر في الماضي ونزوعهم نحو انتاج سجلات أو ترك عملية تتبعها خلف ظهورهم ، وهو ما يضعهم في موقف يميزهم تماماً عن الباحثين للأوضاع المعاصرة للمجتمع . فالباحثون التاريخيون لا يمكن لهم أن ينكبوا على موضوعهم في البحث أو ينشغلوا مباشرة به أو بأهداف دراستهم ، ولا يمكن لهم كباحثين تاريخيين أن ينتجوا بيانات من تصميمهم . ولم يتدرب الكثير من الباحثين الاجتماعيين على تقدير العينات الممتلة والجماعات الضابطة ، يمثل الاعتماد الجوهري للباحثين التاريخيين على تقلبات الشواهد الحية والذي يقلل من وصول البحث التاريخي إلى مستوى المثالية . وعلى أية حال ، بينما تحتاج العيوب الأصلية في مادة المصادر المتاحة إلى أخذها في الاعتبار كعامل حاسم ، فإمه من الضروري عدم المبالغة في الادعاءات التاريخية وتحديد مجال البحث التاريخي ، والشكوك في الباحث الاجتماعي .

وللتغلب على الصعوبات والمشكلات والشكوك المثارة حول مادة البحث التاريخي ، يتطلب الأمر التأكد من مصداقية هذه البيانات من خلال تقديم الشواهد على البيانات والوثائق ، خارجياً وداخلياً ، أو من خلال النقد الخارجي والنقد الداخلي Internal and external criticism لأنه من الأهمية بمكان معرفة ما إذا كانت الوثيقة التي يعتمد عليها الباحث كأساس لبحثه ، هي وثيقة أصلية ، لضمان مصداقية بحثه ، وهذا ما يعنيه النقد الخارجي ، أما النقد الداخلي فهو يتعلق بالمعنى أو ما إذا تعني الوثيقة ، وما الذى كان الكاتب يحاول قوله ، وما هي الفكرة التي يحاول توصيلها ، أو بعبارة أخرى أعم ماذا تعني الكلمات وما هو القصد ، وما هي الرسالة التي تحاول توصيلها .

(٤) التحليل الكيفي لبيانات البحث التاريخي :

وفى البحوث التاريخية ، ربما أكثر من أي نوع آخر للبحوث ، يجد الباحث نفسه في شراك أو مستمتع ملئاً بالملاحظات ، وكروت الملاحظات وكروت القوائم ، والمذكرات . وإن كان من السهل قراءتها وأخذ الملاحظات ، ولكنه من الصعب للكثير من الباحثين تنظيم هذه الملاحظات في صورة حقائق مفيدة ذات معنى بالبحث . ويتطلب التعامل مع البيانات التاريخية خطة منسقة ليس فقط لعملية جمع البيانات وإنما يتطلب أيضاً لعملية تنقية وتحليل البيانات . ولذلك ، قبل البدء فى البحث التاريخي علينا أن نوفر خطة معينة ، لاكتساب وتنظيم وتخزين ، وتنقية البيانات . وهناك أساليب إرشادية مقترحة تساعد على تطوير مثل هذه الخطة . بعضها يتعلق بالكروت المستخدمة فى جمع البيانات ، والآخر يتعلق بترميزها .

وهكذا ، لكى تكتمل حلقة البحث التاريخي ، وبعد الانتهاء من التنقيب عن المادة والبيانات التاريخية ومراجعة المصادر والوثائق التاريخية ، والتأكد من مصداقيتها كشواهد موثوق بها ، يتطلب الأمر الانتقال إلى مرحلة تحليل البيانات التاريخية ، وذلك في ضوء خطة وأساليب التحليل المعروفة فى البحث الاجتماعي بأنواعه المتباينة ، لكن الأمر الجدير بالتأكيد هنا ، أن التحليل فى البحث التاريخي يختلف نوعاً عن التحليل فى البحوث الأخرى ، لأنه تحليل كيفي فى الأساس طالما كان البحث التاريخي ، يمتاز بأنه نموذج للبحث الكيفي الأصيل كما سبق وأشرنا . والتحليل الكيفي ، وكما سنتناوله بالتفصيل فى محاضرة لاحقة ، يعتمد على أساليب مثل اختصار البيانات ، وعرض البيانات فى صورة مصنفة أو مقارنة ، ثم استخلاص النتائج والتحقق منها . ومن الأساليب الإرشادية التي يمكن الاستفادة منها فى خطة تحليل بيانات البحث التاريخي ، أنه إذا كان المؤرخ (عالم التاريخ) يهتم غالباً بالتتبع التاريخي المنظم

فإن الباحث فى علم الاجتماع يهتم بالمرحل والحقب ولا يشترط دائماً أن تكون متتابعة بل أحياناً يأخذ مراحل متباعدة للمقارنة العلمية ، التي تساعده فى الكشف عن العام والمشارك بين المراحل من ناحية والنوعي والخاص بمرحلة محددة من ناحية أخرى . وفى الوقت الذى يسير فيه المؤرخ مه حركة التاريخ من الماضي فى اتجاه الحاضر غالباً ، فإن الباحث فى علم الاجتماع ، فى حالات وأحيان بحثية محددة يبدأ من الحاضر ويسير نحو الماضي لتتبع نشأة وتطور ظواهر أو عمليات اجتماعية بعينها ، كما أن هناك أساليب إرشادية تفيد فى عمليات المقارنة بين البيانات والمعلومات التاريخية ، كخطوة ضرورية فى عملية تحليل البيانات التاريخية ، كأن تتم مقارنة عناصر الموضوع المدروس عبر حقب ومرحل تاريخية مر بها المجتمع الذى يدرس الموضوع من خلاله .

كأن يقارن الباحث بين معايير الاختيار للزواج وطرائقه والمهور عبر فترات تاريخية مختلفة ، ليكشف عن الثابت والمتغير نسبياً فيها أو المستمر عبر كل المراحل ، والذى ظهر فى مرحلة واختفى فى أخرى ، وهذا نوع من المقارنة الزمانية ، وكذلك يمكن مقارنة عناصر أو أبعاد موضوع محدد فى فترة أو حقبة محددة ، عبر عدة مجتمعات ، لمعرفة العام والمشارك بين المجتمعات ، والنوعي الذى يختص بمجتمع معين ، كأن نقارن معايير الزواج وطرائقه فى أحد الأقطار العربية فى القرن العشرين بنظيره فى أقطار عربية أخرى .

وإذا كان تحليل البيانات فى البحث التاريخي ينتهى باستخلاص نتائج محددة ، فإن الأمر يتوقف عند هذا الحد بل يتطلب تفسيراً للنتائج ، طبقاً للقواعد المعروفة فى التفسير والتي سبق الإشارة إليها .

ثانياً : نماذج على تنفيذ البحث التاريخي :

على الرغم من صعوبة البحث التاريخي وما يتصف به من تعقيد وما يتطلبه من جهد ، مما جعله غير مرحب به بين الباحثين فى العلم الاجتماعي ، واتصفت محاولات تنفيذه بالندرة ، إلا أن هذا لم يمنع من وجود محاولات اتسمت بالشجاعة والإقدام واقترام هذه الصعوبة وتنفيذ بحوث تاريخية للظواهر الاجتماعية ، ربما ظهر بعضها فى صورة كتب ، أو فى صورة تقارير بحوث ، أو فى صورة مؤتمرات ، أو فى رسائل علمية للماجستير والدكتوراه أو غيرها ، ربما كان من المفيد التوقف عند بعض هذه النماذج وخاصة التي أمكن الاطلاع عليها ، أو المشاركة فى مناقشتها ، حتى يتسنى لنا

متابعة كيفية وضع التصميمات المنهجية لكل منها ، ومدى التزامها بالإجراءات المنهجية المناسبة للبحث التاريخي في كل حالة .

(أ) دراسة الآثار الاجتماعية للتغلغل الرأسمالي في القرية اليمنية :

وتبدو أهمية هذه الدراسة في خروج صاحبها عن دائرة الموضوعات التقليدية التي ترددت بين الباحثين في علم الاجتماع الريفي ، ومحاولاتها التصدي لقضية التخلف في القرية اليمنية ، والمشاركة في الحوار الدائر بين جمهور المثقفين والمهتمين في العالم العربي حول قضايا التخلف والتبعية ، اتضح ذلك من خلال انطلاق الدراسة من إطار نظري يضم بعض القضايا التي طرحها نظرية التبعية . وأيضاً لأن الدراسة فهمت إن للتخلف أبعاداً تاريخية ، واجتهدت في تعميق هذه الأبعاد مستعينة بالمنهج التاريخي أو الأسلوب التاريخي حسب زعمها ، معتمده على الوثائق التاريخية ودراسات ثانوية أخرى متوافرة في التراث . وقدمت تحليلات مقارنة وربطت في تحليلاتها للقرية بين مستوي المجتمع الأكبر في اليمن ومستوي مجتمعات العالم الثالث ... الخ . والسؤال هنا إلى أي حد التزمت الدراسة بالإجراءات المنهجية اللازمة لتصميم البحث التاريخي ، وجاءت نموذجاً على تنفيذه في الواقع ؟

ولقد لوحظ أن الدراسة حرصت على صياغة مشكلتها في صورة تساؤلات رغم أنها اشارت في بعض مواقعها أنها تقوم على تحديد العلاقة بين متغيرين أولهما : التغلغل الرأسمالي والآخر الآثار الاجتماعية الناجمة عنه في القرية اليمنية ، ولهذا غاب في الدراسة أن تهتم بصياغة مشكلتها في صورة فروض كما هو متبع في البحث التاريخي .

وقد تنبعت الدراسة إلى ضرورة تحديد مدى زمني ملائم لها ، لأنها تناولت القرية اليمنية بالتحليل في الفترة ما بين ١٩٦٢ – ١٩٩١ ، وهي فترة بلغ حجمها (٣٠) عاما تتفق نسبياً وإمكانيات القائم بها كباحث فرد . وعلى الرغم من أن هذه الفترة تحتاج إلى تقسيم في صورة فترات فرعية تسهيلاً لعملية التحليل ، وما يتطلبه من تحديد بداية ونهاية لكل فترة فرعية ، إلا أن الدراسة لم تحرص على ذلك وخالفت متطلبات البحث الكيفي وكذلك تنبعت الدراسة إلى ضرورة التقيب عن مادتها وبياناتها في مصادر أولية ، بقدر ما كانت تستعين بمصادر ثانوية ، وترديد ما جاء في هذه المصادر وحتى ما جاء فيها من نتائج لجهود إجريت على مجتمعات مغايرة للمجتمع اليمني ، ولم تتوقف للتأكد من مصداقيتها حسب ما هو مطلوب في البحث التاريخي .

وكان تحليل البيانات يسير وفق أسلوب السرد التاريخي وقراءة التاريخ كما كانت تزعم ، وتعترف الدراسة أنها لا تقدم تحليلاً وإنما تقدم توصيفاً .

(ب) التعليم الجامعي والتنمية في المجتمع المصري ، دراسة تحليلية في الفترة ما بين ١٨٠٥ – ١٩٩٠ :

تتصدي الدراسة لقضية قومية وسياسية وتحاول الإسهام في الجدل الدائر بين جمهور المثقفين والباحثين في مصر والعالم العربي حول قضايا التعليم وعلاقته بقضايا التنمية والتخلف والتبعية . ولقد اعتبرت الدراسة قضية التعليم ومشكلاته لها جذور تاريخية ، واهتمت بالكشف عن هذه الجذور مستعينة بالمنهج التاريخي لتحليل وتتبع طبيعة العلاقة بين التعليم والتنمية في مصر منذ عهد محمد علي حتى اليوم ، واستفادت من الوثائق ودراسات التراث والإحصائيات المتاحة وقد حاولت الدراسة في تحليلاتها الربط بين تجارب المجتمع المصري وتجارب أخرى على مستوي العالم الثالث والغربي . والسؤال الذي يمكن طرحه هنا ، إلى أي حد التزمت الدراسة بالإجراءات المنهجية اللازمة لتصميم البحث التاريخي ، وهل جاءت نموذجاً معقولاً على تنفيذه في الواقع ؟

لقد لوحظ أن الدراسة لم تكثف بأسلوب محدد واحد في صياغة مشكلتها والتعبير عن أهدافها ، وإنما ترددت بين أسلوب صياغة الأهداف في صورة تساؤلات ، وبين أسلوب صياغة الأهداف في ضرورة فروض علمية ، ولم تراعى ما هو متفق عليه بين الباحثين عند تصميم البحث التاريخي .

ولم تسقط الدراسة في حساباتها عملية تحديد كدى زمني لها ، لأنها جعلت تحليلاتها للتعليم الجامعي والتنمية في المجتمع المصري ، تنصب على الفترة من ١٨٠٥ إلى ١٩٩٠ ، وهي فترة زمنية طويلة نسبياً تزيد على الـ (١٠٠) عام ، ويصعب تصور هذه الفترة الزمنية على أنها مدي زمني مناسب ، خاصة وأن القائم بالدراسة باحث فرد ، ولم تكن هناك إشارة من قريب أو بعيد على وجود فريق ساعد في هذه المهمة ، وقد انتبعت الدراسة إلى أهمية تقسيم المدي الزمني الذي تناولته بالتحليل إلى فترات فرعية ، غير أن هذا التقسيم سار وفق ما هو شائع في الدراسات التاريخية ، وأخذ يقسم التاريخ وفق سنوات الحكم والرؤساء بداية من حكم محمد علي ، بل أخذت الدراسة تقتت التاريخ إلى فترات لا وزن لها في حركة المجتمع المصري ، وعلى نحو يخالف حتى التقسيم الشائع .

وقد غلب على الدراسة الميل إلى الاعتماد على المصادر الثانوية ، وإغفال قيمة المصادر الأولية عند التنقيب عن المادة والبيانات التاريخية خلال المدي الزمني والفترات الفرعية التي تمت دراستها ، وإن كان هناك ذكر لبعض الوثائق (الدستور – القوانين – القرارات) إلا أن هذه الوثائق لم تحتل الاهتمام الكافي في الدراسة ، والتأكد من مصداقيتها على الأقل واتجهت الدراسة نحو الاعتماد على المصادر الثانوية وتكرار جهود الآخرين ومسائرتهم في استجابتهم ، وأخذت الدراسة طابع السرد التاريخي واعتبار الأحداث التاريخية كمقولات لتصنيف مادتها التاريخية وعرضها ، بدلا من اتخاذ مقولات بنائيه تفيد أكثر في التحليل .

وقد أغفلت الدراسة أهمية إجراء مقارنات ضرورية في التحليل تساعد في التوصل إلى نتائج محددة ، بقدر ما كانت النتائج تكرر المصادر الثانوية المشار إليها .

ولم تعني الدراسة أيضاً بعملية تفسير النتائج في ضوء ما سبق وعرضت له من قضايا نظرية ، وأخذتها من نظريات رأس المال البشري ونظريات التحديث والتبعية إلخ .

(ج) دراسة أثر سياسات الإصلاح الاقتصادي على تشكل الشرائح الرأسمالية الجديدة في مصر خلال عقد التسعينيات :

تناولت الدراسة موضوعاً حيوياً يمس جوهر حياتنا اليومية ويتعلق بقضية العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع ، ومسائل السياسة الاقتصادية ومشروعات الإصلاح والطبقات الجديدة في مصر ، وتربط اهتماماتها الأكاديمية بقضايا المجتمع الذي نعيش فيه ، وتعتبرها هموماً تستحق النظر . وقد فهمت الدراسة أن تشكيل الشرائح الطبقة في مصر (كظاهرة اجتماعية) يحتاج إلى فترة تاريخية طويلة ، مما جعلها تقف أمام هذا البعد التاريخي ، وأخذت تتبع المسار التاريخي ، فحاولت وتشكل الشرائح الرأسمالية عبر مراحل تاريخية متباعدة . وقد اعتمدت الدراسة في ذلك على دراسات وكتب التاريخ والتراث ، وقد حاولت الدراسة أن تربط وتقرن في تحليلاتها لسياسات الإصلاح الاقتصادي والطبقة الرأسمالية بين مستوي المجتمع الأكبر في مصر وبين مستوي بلاد العلم الثالث والبلدان العربية – والسؤال الذي يهمننا هنا ، إلى أي حد التزمت هذه الدراسة بالإجراءات المنهجية اللازمة لتصميم البحث التاريخي ؟ وهل جاءت نموذجاً معقولاً يمكن الاسترشاد به على تنفيذه في الواقع ؟

لقد لوحظ أن الدراسة مالت في صياغة مشكلتها إلى أسلوب التعبير عن الأهداف على شكل تساؤلات ، وخرجت عن ما هو متوقع عند صياغة مشكلة البحث التاريخي والتعبير عنها في فروض ، وإذا كانت الدراسة تتناول أثر متغير سياسات الإصلاح الاقتصادي على تغيير آخر وهو تشكيل الشرائح الرأسمالية ، فهل من المناسب صياغة هذه العلاقة بين هذين المتغيرين في صورة تساؤلات ، أم الأفضل التعبير عنها في صيغة الفروض العلمية ؟

وكذلك لوحظ أن الدراسة قد حرصت على تحديد مدى زمني لها ، بدأ من عهد محمد علي عام ١٨٠٥ واستمر حتى عام ١٩٩٠ ، وهذه الفترة الزمنية الطويلة نسبياً والتي تزيد على (١٠٠) عام ، لا يمكن اعتبارها مدى زمنياً مناسباً كمطلب أساس في البحث التاريخي ، لأنها على الأقل لا تتناسب وامكانيات باحث فرد هو الذي تحمله تبعه هذه الدراسة ، ولم يكن تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى فترات فرعية وحقب غائباً عن الدراسة .

وإنما لوحظ تتبع تقسيم يبدأ بحكم محمد علي والاحتلال البريطاني لمصر ١٨٠٥ – ١٨٨٢ . ثم قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، ومنذ قيام الثورة وحتى تبني سياسه الانفتاح ١٩٧٤ وهكذا .

وربما كان هذا التقسيم للمدي الزمني الذي تم التركيز عليه ، إلى فترات فرعية ، مفيداً في دراسة تاريخية ، أما تطبيق المنهج التاريخي في دراسات علم الاجتماع ، وإجراء بحث تاريخي في هذا النظام الفكري ، يفضل معه تحقيب التاريخ استناداً إلى أحداث اجتماعية هامة ، وقد يعد تطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي في مصر كموضوع تركز عليه الدراسة هو المحك أو المعيار الأساسي الذي يمكن أن يقسم التاريخ بناء عليه إلى فترتين الأولى سابقة على هذه السياسات والثانية لاحقة لها .

وبدلاً من أن تعتمد الدراسة على تنقيبها عن البيانات والمادة التاريخية خلال هذا المدي الزمني والفترات الفرعية ، على مصادر أوليه ووثائق تاريخية ، مال البحث إلى الاعتماد على كتابات باحثين آخرين حول ما حدث في هذه الفترات التاريخية ، وترديد ما ورد في هذه المصادر الثانوية ، ونقل الأفكار والمفاهيم وأيضاً النتائج التي انتهى إليها أصحاب هذه المصادر ودون التوقف للتأكد من مصداقية هذه المصادر .

ويلاحظ أن الدراسة قد قدمت عرضاً مقارناً بين الرأسمالية الجديدة في فترة التسعينيات ، وبين رأسمالية الانفتاح الاقتصادي خلال السبعينيات ورغم أن الدراسة تناولت سياسات التكيف في العلم الثالث وفي العالم العربي وفي مصر ،

ولما كانت هذه البيانات في البحث الوصفي قابلة للتحريف نتيجة للتحيز المحتمل في جمع البيانات وفي انتقاء الجمهور أو العينة ، كان من الضروري العمل على تجنب أثر هذا التحريف والتحيز في كل خطوة ، كما يشير هذا التحديد أيضاً للبحث الوصفي من ناحية أخرى إلى تميزه بعدة خصائص وخطوات ، إذ تدور البحوث الوصفية حول مواقف راهنة أو ظواهر الحاضر ، والنظر فيما وراءها ، بمعنى الاستعانة بإجراءات منهجية متباينة ، من طرق وأدوات ، وعينات ، وتحليلات ، وتنسيق وترتيب لتوفير بيانات دقيقة حول هذه المواقف ، ثم استخلاص المعنى والمغزى الذي تنطوي عليه هذه البيانات . الأمر الذي سنزيده إيضاحاً فيما بعد .

ثانياً : أهداف البحوث الوصفية ومستلزماتها :

يعنى قدر هائل من البحوث الاجتماعية بوصف المجتمعات المحلية ، حيث قد يهتم بعضها بدراسة سكان المجتمع المحلي ، وتكوينهم العمري وتركيبهم القومي أو السلالي وظروف الصحة الجسمية أو العقلية بينهم ، ومستويات التعليم التي حقوها .

وقد يهتم البعض الثاني بدراسة التسهيلات المتاحة في المجتمع المحلي واستخدامها مثل ظروف الإسكان ، ومدى الإفادة من المكتبات ، وحجم الجريمة في الأحياء المتباينة . وقد يعنى فريق ثالث بوصف التنظيم الاجتماعي في المجتمع المحلي أو الأنماط الأساسية للسلوك ، ويعتبر تعداد السكان نموذجاً على هذه الاهتمامات .

وقد يعنى فريق رابع بتقدير نية السكان في مجتمع معين والذيم يتمسكون برأي معين أو باتجاهات محددة ، أو الذين لهم طريقة مميزة في السلوك . ويحاول آخرون الإجابة على أسئلة مثل :

كم عدد الذين يوافقون على الإجهاض كطريقة في ضبط النسل ؟ في أي الأحياء يتطلب التغيير في السكان بناء مدارس جديدة أو إغلاق أخرى موجودة في المستقبل القريب ؟ وتعد استطلاعات الرأي نموذجاً على هذا الاهتمام .

كما قد يعنى فريق خامس بالكشف عما إذا كان هناك ارتباط بين متغيرات معينة مثل هل تزيد نسبة الكاثوليك الذين يصوتون إلى جانب الديمقراطية عن نسبة البروتستانت ؟ هل السكان الذين يمضون جانباً كبيراً من وقتهم في القراءة يترددون أيضاً على دور السينما ؟ هل الإناث عموماً يتعلمون كيفية الكلام في عمر مبكر من الذكور ؟

علماً بأن الأسئلة المشار إليها سلفاً لا ينطوي واحداً منها على فرض مضمونه : إن أحد هذه المتغيرات يؤدي إلى حدوث الآخر ، ذلك لأن التساؤلات التي تجسد مثل هذه الفروض تقتضي منا استخدام متطلبات مغايرة في إجراءات البحث لا يعتمد عليها البحث الوصفي وقد ينظر إلى قياس الرأي العام باعتباره نموذج آخر على الحث الوصفي . واضح إذن أن أهداف البحوث الوصفية تتنوع وتتعد بين دراسة خصائص السكان في المجتمع أو الامكانيات المتاحة ، أو المشكلات الاجتماعية ، أو عناصر التنظيم الاجتماعي ، أو الاتجاهات نحو قضايا وأوضاع هامة داخلية إلخ.

وإذا كانت هذه الاهتمامات السابقة تمثل مجموعة كبيرة من أهداف البحث ، أمكن تجميعها معاً في فئة واحدة تعرف باسم البحوث الوصفية . فإن يرجع إلى أن البحوث التي تهدف تحقيق هذه الأهداف تشترك فيما بينها في حاجتها إلى عدد من المتطلبات أو المستلزمات ، ذلك لأن هذه الأنواع من التساؤلات والمشكلات التي يطرحها البحث الوصفي تفترض سلفاً توفر قدر كبير من المعرفة متاحاً حول المشكلة التي يدور حولها البحث ، وذلك بمقارنتها بالتساؤلات التي تحاول الدراسات الاستطلاعية الإجابة عليها ، وتفرض على الباحث ضرورة أن يكون قادراً على تحديد ما يريد وصفه بوضوح ، وكذلك ضرورة التوصل إلى المناهج المناسبة لهذا الوصف . هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي أن يكون البحث قادراً على تعيين من الذين يشملهم مجتمع البحث أو عينته ، لذلك فإن ما يحتاج إليه جمع الشواهد في الدراسة الوصفية هو الصياغة الواضحة لما نريد وصفه والذين نصفهم ، وتحديد أي الأساليب تحقق الصدق والثبات في الوصف ، أكثر مما نحتاج إلى المرونة في البحث .

وكذلك لا تقتصر البحوث الوصفية على الاستعانة بأسلوب واحد في جمع البيانات ، وإنما قد تستخدم بعض هذه الأساليب أو كل المتاح منها في البحث الاجتماعي . ولكن ليس معنى أن البحوث الوصفية قد تستخدم مجموعة كبيرة من الأساليب ، أنها تتمتع بخاصية المرونة التي تمتاز بها البحوث الاستطلاعية . وإنما يستلزم الأمر أن تكون الإجراءات المستخدمة في البحث الوصفي مخططة بعناية . وطالما كان الهدف هو التوصل إلى معلومات كافية ودقيقة ، ينبغي أن يتوخى تصميم البحث البعد عن التحيز بالمقارنة بالبحوث الاستطلاعية ، وكذلك الاهتمام بالاقتصاد في جهود البحث .

ثالثاً : الإجراءات المنهجية في تصميم البحوث الوصفية :

وتدخل هذه الاعتبارات المتعلقة بالاقتصاد وتجنب التحيز في كل مرحلة من مراحل البحث ابتداء من صياغة أهداف البحث ، وتصميم أساليب جمع البيانات ، وانتقاء العينة ، وجمع البيانات وتحليلها ومعالجتها ، وكتابة تقرير النتائج . نحاول فيما يلي الاستعانة بمثال دراسة خبرات واتجاهات سكان الولايات المتحدة الأوروبيون الذين يزورون الهند لتوضيح هذه الإجراءات :

١- صياغة أهداف البحث :

تتمثل الخطوة الأولى في البحث الوصفي كما هو الحال في أي بحث آخر في تحديد المشكلة أو السؤال الذي نريد الإجابة عليه أو صياغة أهدافه . إذ يتوقف توصل الدراسة إلى المعلومات المرغوب فيها ، على تحديد الأهداف بالدقة الكافية ، وحتى يمكن أن نضمن مناسبة البيانات التي تم جمعها للسؤال الذي تطرحه الدراسة .

حيث كانت المشكلة العامة في البحث الذي أشرنا إليه كمثال هنا متمثلة في الإجابة على تساؤلات مثل : ما هي التغييرات التي طرأت على هؤلاء الزوار كلما مر عليهم وقت خارج بلادهم ؟ خاصة وأن الكثير من جهود البحث الاجتماعي تعفي بالتغيرات في الاتجاهات بين جماعتين أو أكثر ممن يشتركون في نفس القومية أو يعيشون في نفس المدينة . كما تسعى هذه الدراسات إلى فهم التغيرات في الاتجاهات العنصرية Racial نتيجة للتغيرات في سياسات التعليم أو الإسكان ، وكذلك تهتم بالإجابة على أسئلة مثل ، هل تحدث نفس أنواع التغيرات والعلميات الاجتماعية بين الأشخاص الذين يعبرون الحدود الدولية ؟ وهل يصبحون أكثر أو أقل تسامحاً وقبولاً للأشخاص الذين يفيدون إلى بلادهم من بلاد أخرى ؟ وقد تدفع المجموعة المتباينة من نتائج الدراسات السابقة حول نفس الموضوع بالباحث إلى أن يتسأل ؛ ما الذي يحدث من عمليات في مثل هذه الظروف التي تحتاج إلى بحث من النوع الوصفي.

ومن هنا ؛ كان الهدف الرئيسي للدراسة المشار إليها هنا متمثلاً في محاولة تتبع عمليات التكيف بين الزوار الأجانب في الهند من خلال الملاحظة والمقابلة الشخصية للأشخاص الذين عاشوا هناك لفترات متباينة لكي نوضح كيف تغيرت نظراتهم لأنفسهم وللهند .

٢- تصميم أدوات جمع البيانات :

وينبغي بعد تحديد المشكلة بوضوح يوجهنا نحو البيانات التي تحتاج إليها الدراسة لا ابتكار الأساليب التي يمكن بها التوصل إلى هذه البيانات ويلزم الأمر تصميم الأساليب الملازمة لجمع المعلومات ، طالما كان من الصعب على الباحث أن يجد أمامه أساليب معدة سلفاً ومناسبة لموضوع بحثه .

والواقع أن كل أسلوب من الأساليب التي يمكن أن توصلنا إلى البيانات مثل الملاحظة ، والمقابلة ، والاستبيان ، والأساليب الإسقاطية ، فحز السجلات وغيرها له مميزاته وحدوده التي قد تناولتها مؤلفات مناهج البحث الاجتماعي وطرقه بالتفصيل ؛ والتي توضح أن هناك مجموعة هائلة من أساليب البحث يمكن أن يختار من بينها الباحث ، ولكنه قد يسير في رحلته الشاقة هذه دون أن يعرف من أين يبدأ ، هل يختار الملاحظة للمشاركة أو المقابلة ، أم غيرها ، غير أنه إذا عرف أن خصوصية الموقف المدروس وطبيعة التساؤلات التي يطرحها البحث والمهارات المتوافرة لدى الباحث يمكن أن تتدخل في اختيار هذه الوسيلة .

فعندما يستخدم الباحث الاستبيان مثلاً كوسيلة في لجمع بياناته وفي البحث الوصفي عليه أن يعرف أنه نتيجة الطبيعية الغير شخصية التي تميز الاستبيان لان الباحث لا يعرف أو يري المبحوث الذي يجيب على أسئلة استبيانه ، عليه أن يراعى في جمع البيانات استخدام هذه الوسيلة الاعتبارات التالية :

١- وضوح اللغة التي تكتب بها أسئلة الاستبيان وتوصل الباحث إلى ما يريد أن يعرفه بدقة :

ذلك لأن عملية الاتصال تنطوي على شيء من الخداع ، وأن ما يكون واضحاً لك قد يغمض على غيرك ، وما يبدو أنه سؤال واضح بالنسبة لك ، قد يفهمه غيرك بصعوبة بالغة . ولذلك ، ينبغي أن يجري اختبار مبدئي على عينة صغيرة للتحقيق مما إذا كان هناك بنود في الاستبيان يصعب فهمها أو هناك أسئلة لا يعرف المبحوث الإجابة عليها إلخ .

٢- تصميم الاستبيان بحيث يحقق أهداف البحث المحددة .

إذ ينبغي بناء الاستبيان بندا بعد الأخر واختيار نوعيته في ضوع الموضوعية والملائمة للمشكلة البحث واحتتمال فهمه ، وتراعى في كل خطوة الاستندان Cour-teous في طلب الاجابة ، والبساطة في صيغة الأسئلة واحتمالات الاجابة وأن يضع الباحث نفسه مكان المبحوث والتركيز على المسائل العامة دون الخاصة ، والحرص على أن يكون الاستخبار مختصرا ويضم فقط بنود أساسية ، ثم الاتساق وعدم التناقض بين البنود وفي الاجابة عليها ووضع أسئلة للمراجعة على الاجابات والاتساق فيما بينها ... إلخ ، من التفاصيل التي سنعود إليها عند الحديث عن تصميم الاستبيان كأدلة لجمع البيانات للبحث الاجتماعي .

ولكن طالما كان بالإمكان الإفادة من البيانات التي نتوصل إليها من خلال وسائل مختلفة في الإجابة على تساؤلات البحث أن يستغنى عن أساليب معينة لا يحقق هذا الهدف ، ويختار تلك التي تساعد على تحقيق ، مع الأخذ في الاعتبار قيود الاقتصاد في الوقت والجهد التي تميز البحث الوصفي . وفي اللحظة التي يستقر فيها الباحث على اختيار وسيلة معينة تبقى هناك بعض القرارات الأخرى التي يجب اتخاذها عن التفكير في تصميم البحث ، يتعلق بعضها بطريقة تطبيق وسيلة جمع البيانات هل هي طريقة مباشرة تستخدم المقابلة أو غير مباشرة عن طريق الاستخبار البريدي ؟ وهل الأسئلة التي ينطوي عليها هذا الاستخبار مقفولة النهاية وتحدد احتمالات الاجابة على كل سؤال بها أم تكون مفتوحة النهاية ؟ علما بأنه يفضل في البحث الوصفي الإفادة من أكبر مجموعة ممكنة من مثل هذه الاحتمالات لزيادة فرصة التعرف على ابعاد الموقف المدروس ومكوناته الأساسية .

وهذا ما حولته دراسة الزوار الأجانب إلى الهند من الملاحظة بالمشاركة ، والمقابلات الحرة ، والأسئلة المقننة ، ومقاييس الاتجاهات ، وذلك استناداً إلى أنه إذا كانت الملاحظة بالمشاركة تنطوي على بعض أخطاء في التفسير ، فإن المقابلات المقننة ومقاييس الاتجاهات ستقل من احتمالات التحيز الشخصي هذه ، وكذلك تسمح لنا هذه المجموعة من اساليب جمع البيانات لتوصل إلى قد هائل من المعلومات ، ولهذا كان من المرغوب فيه الاعتماد على أكثر من وسيلة واحدة في جمع البيانات حتى تتمكن من تقديم وصف أكثر اكتمالاً للموقف الذي نقوم بدراسته .

والمشتغل بعلم الاجتماع في محاولته السير صوب كل هذا، لابد له من مادة تاريخية تغطي مساحتها مطلبه العلمي من الشواهد والأدلة. ومن هنا، يمكن فهم لماذا كان كل تقدم في الدراسات التاريخية بمعناها الشامل الذي يضم التاريخ والبحث التاريخي، هو ركيزة تساعد علي تقدم علم الاجتماع وبلورة آرائه وأدواره العلمية والمجتمعية. ومن ناحية أخرى ، يعد كل تقدم في منهجية علم الاجتماع، بمعنى المفاهيم والقضايا النظرية والإجراءات البحثية، بمثابة ركيزة تساعد علي تقدم البحث التاريخي.

إن الباحث التاريخي الذي يهتم بتحليل الوقائع والحوادث وتحليلها وتركيبها وقراءتها وجعلها تنطق وتكشف عن معناها، بحاجة إلي ما يساعده علي انتقاء الوقائع والحوادث والشواهد التاريخية، وتصنيفها وترتيبها وتحديد ما بينها من علاقات وتشابكات. هذا الباحث يمكن أن يجد في علم الاجتماع ما يعنيه علي تطوير هذه العمليات البحثية وشحذها، هذا فضلا عن أن المعلومات والبيانات والنتائج الدقيقة التي يصل إليها المشتغل بعلم الاجتماع اليوم قد تكون من بين مادة الباحث التاريخي غدا أو بعد غد.

وهكذا قد نجد النقائص في المعالجة العلمية للظواهر الاجتماعية ، التي لوحظت علي البحوث الكمية في علم الاجتماع، وميلها إلي التصنع العلمي ، وتجزئة الحقيقة الاجتماعية، وبعدها عن التلقائية ، تعويضا عن الكثير من هذه النقائص. كما أن اهتمام البحث التاريخي بدراسة تطور المجتمع البشري والتعرف علي عوامل وعمليات وقوانين هذا التطور ، بهدف توظيف نتائج هذا البحث في صنع مستقبل أفضل لهم، يعبر عن قدراتهم وآمالهم، مما يؤكد أهمية الحاجة إليه كأساس لا غنى عنه في صياغة استراتيجيات التنمية في المستقبل.

٣- اختيار جمهور البحث وتصميم عينته :

تعد عملية اختيار جمهور الدراسة احد العناصر الجوهرية في البناء الأساسي لبحوث المسح الوصفي ، وإذا كانت العناية والدقة مطلوبتان في عملية التخطيط للبحث وتصميمه من أجل التوصل إلى الهدف المحدد فإنهما لازمتان أيضاً في اختيار جمهور البحث وتمثيل عينته ، ومن هنا كانت اجراءات اختيار العينة لها أهمية قصوى وحاسمة في نجاح البحث الوصفي ... وتعتبر العينة بمثابة وسيلة لها أساسها المنطقية ومبرراتها الإحصائية ابتكرت للتغلب على صعوبة دراسة جمهور البحث كله . ولقد أوضحت الخبرة بالبحث الاجتماعي بأنه ليس هناك ضرورة لدراسة كل الأشخاص المكونين لجمهور البحث ، حتى يمكن التوصل إلى وصف دقيق وثابت لاتجاهات أو سلوك هؤلاء الأشخاص ، وإنما يكفي دراسة عينة منهم فقط .

وهناك جهود كثيرة متوافرة حول مشكلة تصميم العينات أوضحت أنه يمكن التوصل إلى معلومات دقيقة مع أقل قدر من الجهد من البحث إذا اقتصرنا على عينة ممثلة . وهنا من المفيد أن نوضح كيف أن تقدير مثل هذه الاعتبارات الإحصائية قد يساعد في تحقيق قدر كبير من الاقتصاد في البحث حيث قام رونترى في دراسته الكلاسيكية للفقير في إنجلترا لبحث كل أسر الطبقة العمالية . ولكي يتحقق من دقة أسلوب العينة الذى اعتمد عليه في البحث اختار طبقاً لإجراء منسق أو منظم كل الحالات العشرية وقارن نتائجها بالنتائج التي توصل إليها من دراسته لكل الحالات . ثم اختار حالات العشرييات ، والثلاثينات ، والأربعينيات ، والخمسينات ، وقارن بين النتائج في كل حالة ونتائج دراسته للحالات كلها وخاصة فيما يتعلق في ينفق من الدخل على ايجار مسكن الأسرة . واتضح له في النهاية ان العينات المختلفة بغض النظر عن حجمها تمدنا بنتائج قريبة من تلك النتائج التي تم التوصل إليها .

أو بعبارة أخرى ، تم التوصل إلى نفس النتائج من خلال دراسة عينة واحدة من أسر الطبقة العمالية في المدينة ، وهذا يعنى استثمار في الوقت والجهد بدون أن تتأثر النتائج التي يمكن التوصل إليها .

وإذا كان البعض يذهب إلى أنه قد تكون هناك فروق ذات دلالة بين النتائج التي يتم التوصل إليها من دراسة العينة ، وبين نتائج دراسة مجتمع البحث ككل ، إلا ان دلالة هذه الفروق تتوقف على عدة اعتبارات منها ما هو إحصائي وما هو عملي بحيث تتوقف الفروق ذات الدلالة الإحصائية في الحالتين على مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلي ، تتوقف الفروق ذات الدلالة من الناحية العملية على ما تؤدي به إلى تغيرات رئيسية في التفسير أو التوصيات التي يمكن أن تخرج بها الدراسة في مجال التطبيق إذا كانت تهدف إلى ذلك . ولذلك ينبغي أن تختار العينة بعناية يتمكن بواسطتها الباحث من أن يصل إلى النتائج عن عينة البحث كله قريبة من النتائج التي يمكن التوصل إليها من دراسته ، أو بجمع بيانات من هذا الجمهور كله .

وهذا معناه أنه ، أنه إذا كان من الأهمية بمكان أن تعتمد الدراسة على عينة فينبغي أن تكون العينة على مستوى من التمثيل الدقيق للمجتمع الأصلي الذى تؤخذ منه ، بمعنى أنه لا بد أن تسحب العينة بطريقة تجعل النتائج التي تستخلص منها أكثر تطابقاً مع تلك النتائج التي كان بالإمكان التوصل إليها من دراستها للمجتمع الأصلي للبحث . وهذا يتطلب قدراً من الاهتمام والعناية ، عند تصميم البحث بمشكلات وأساليب تكوين سحب العينات لأنه يعيننا في اتخاذ كافة القرارات التي تحتاج إليها تصميم عينة البحث الوصفي والاجابة على أسئلة مثل ، ما الذى يمكن عمله في حالة كبر أو صغر حجم المجتمع الأصلي للبحث ؟ أو ما إذا كان هذا المجتمع حبيس جدران معينة مثل المسجونين أو ما إذا كان هؤلاء الأفراد من المرضى أو الاتصال بهم أو من العجزة أو من الراضين للتعاون ومدنا بالمعلومات ؟

وتتكون العينة من وحدات أو مفردات تأخذ من جمهور البحث .

والواقع ان هدف البحث هو الذى يحدد وحدة العينة المناسبة ، فمثلاً في دراسة عملية الانتخاب ، نجد أن وحدات العينة المناسبة هم أصحاب الأصوات القانونية ، وفي دراسة لميزانية الأسرة ، تعد الأسرة هي وحدة العينة ، وفي دراسة لسلوك الأطفال ، تعد الفترات الزمنية لوحدة للدراسة ، ومهما كانت وحدة العينة فمن المهم أن يتوافر لدينا أساس يمكن به التعرف على إجمالي سكان المجتمع الأصلي التي تتكون منه هذه الوحدات ، وكذلك طريقة محددة لاختيار أو سحب الوحدات من هذا المجتمع . ولذلك ، كانت الطريقة التي يتم بها انتقاء وحدات العينة لها أهميتها ، فقد تكون الطريقة العشوائية Randomization ولهذا تصبح العينة عشوائية ، أو قد تكون طريقة من الطرق المختلفة الأخرى في تكوين العينات ، مثل الطريقة العشوائية المنتظمة ، أو الطريقة الطبقيية ، أو المساحية ، أو المكانية ، أو المعتمدة ، أو ما إليها .

وفي كل حالة تسحب مفردات العينة لتكون في النهاية حجماً معيناً للعينة ليبدل على الدرجة التي تقترب بها خصائص العينة من خصائص جمهور البحث ككل مثل التجانس واللاتجانس فإذا كان جمهور البحث يتميز بعدم التجانس ، فهنا ينبغي على الباحث أن يأخذ في اعتباره عوامل ثلاثة في اتخاذ أي قرار يتعلق بحجم العينة :

١- درجة الدقة اللازمة في اقتراب العينة من جمهور البحث.

٢- درجة انحراف العينة المسموح بها عن المجتمع الأصلي .

٣- الطريقة المستخدمة في تكوين العينة .

وعموماً يحتاج تصميم العينة في البحث الوصفي أن يسير الباحث في خطوات محددة ، حيث تتمثل الخطوة الأولى عند اختيار وتصميم العينة في التحليل الواعي لخصائص جمهور الباحث حتى يمكن في ضونها التوصل إلى أسلوب لتكوين العينة يتناسب مع نموذج هذا الجمهور ، ذلك أن جمهور البحث قد يمتاز :

- (١) أن يحتوى على شرائح متجانسة .
 - (٢) أن يحتوى على شرائح محددة تنطوي على وحدات متباينة .
 - (٣) أن يحتوي على شرائح محددة ، وتختلف كل شريحة عن الأخرى بما تنطوي عليه من وحدات .
 - (٤) أو قد يشتمل على تجمعات ، لكل تجمع خصائص مماثلة ولكن خصائص وحدات كل تجمع غير متجانسة .
- ولوحظ أن كل جمهور بحث يناسبه أسلوب معينة لسحب العينة منه . إذ يفيد أسلوب العينة العشوائية مع النوع الأول من الجمهور ، ويفيد أسلوب العينة الطبقة مع النوع الثاني ، ويفيد أسلوب العينة الطبقة الحسية في النوع الثالث ، وتفيد أسلوب العينة العنقودية مع النوع الرابع .

٤- جمع البيانات في البحث الوصفي :

من الضروري التوصل إلى بيانات خالية من الأخطاء قد تكون ناشئة عن المقابلات الفردية أو الملاحظات أو غيرها ، وإن نهتم بالإشراف المباشر على باحثي الميدان وهم يقومون بجمع وتسجيل البيانات . وينبغي أن تجري مراجعة لهذه البيانات للتأكد من هؤلاء الباحثين كانوا أمناء ، وأن البيانات التي قاموا بجمعها غير متحيزة ، بمعنى أنه عند جمع البيانات ينبغي التأكد من اكتمالها وشمولها ، واتساقها ، وثباتها .

ولتحقيق ثبات البيانات مثلا ، يمكن الاعتماد على أكثر من باحث في جمع البيانات ، أو حتى جمع هذه البيانات على مراحل متباينة والمقارنة . ومن الأمثلة البارزة على التحقق في الثبات في البحوث الوصفية ما حاوله (ساندرز) في دراسة لمدمني الهيروين من وضع أسئلة تعين في التمييز . مثالها ، السؤال الذي طرحه على المفحوصين عن سبق شرائحهم لهذا المخدر ،

بحيث أنه إذا كانت نسبة كبيرة من الذين سبق معرفتهم به يجيبون بثبات على أكثر هذه الأسئلة تميزا وهو المتعلق بالمعدل الذي يمكن باعتباره معقولا ، فإن هذا دليلا كافيا على اعتبار اجاباتهم على بقية اجابة ثابتة ويمكن الثقة بها . كما استعان (ساندرز) بإجراءات أخرى عديدة تفيد في زيادة معدل الثبات في بياناته ، منها الاستعانة بالباحثين على خبرة ودراية في الموضوع المدروس ، وتنظيم دورت تدريبية للباحثين تناقش معهم أهداف البحث وطبيعة الاستبيان ، وأساليب الملاحظة مما أعان الباحثين على فهم حياة ولغة المدمنين ، وانعكس ذلك فيما بعد على كسب ثقة المفحوصين واحترامهم وتعاونهم في الاجابة على الأسئلة .

٥- تحليل البيانات وتفسير النتائج في البحث الوصفي :

تتكون عملية التحليل من خطوات ترميز إجابات المقابلة الشخصية أو الملاحظة (وضع كل بند في الفئة المناسبة) ، ثم جدولة البيانات (حساب أو عد أو إحصاء عدد البنود في كل فئة) ، ثم إجراء المعالجات الإحصائية وسوف نناقش هذه الإجراءات بالتفصيل فيما بعد (المحاضرة الخاصة بتحليل البيانات وتفسير النتائج) ، ولكن يجب أن نذكر هنا ضرورة مراعاة اعتبارات الاقتصاد والحاجة إلى تجنب الوقوع في الخطأ في كل خطوة من هذه الخطوات . وتتطلب اعتبارات الاقتصاد عموماً أن يكون التحليل مخططاً له بالتفصيل قبل إجراء البحث فعلاً ، أو قبل البدء فيه . وبهذه الطريقة يمكن للباحث أن يتجنب القيام بأعمال غير ضرورية ؛ كأن يستخرج جداول يجد فيما بعد أنه لن يستفيد منها أو قد يضطر إلى عمل جداول أخرى لأنه لم يوفق في الوصول إلى البيانات المناسبة أو وثيقة الصلة بموضوعه . على أنه يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن التخطيط المتكامل لعملية تحليل البيانات مقدماً ليس دائماً عملية ممكنة أو حتى مرغوباً فيها .

طالما تطرأ للباحث أفكار جديدة يحتاج إلى فحص دلالتها لبحثه . ولكنه من الممكن دائماً ، ومن المرغوب فيه أن نعد مقدماً المعالم الأساسية للتحليل في البحث باستثناء البحوث الاستطلاعية .

ويمكن تجنب الوقوع في الخطأ عند الترميز من خلال مراجعة أو التحقق من ثبات القائمين بالترميز – بمعنى تحديد المدي الذي يتفقون فيه على وضع البند في فئة معينة – وإذا كان الترميز يتطلب أحكاماً صعبة ، علينا أن نستعين بإجراء مناسب هنا يتمثل في ترك اثنين أو أكثر من المرمزين يقومون بعملهم على نحو مستقل على عينة من المادة حتى يتوصلوا إلى درجة مرضية من الثبات . أو قد يقوم أحد المرمزين بالعمل ، ثم يقوم مرمرز آخر بعملية المراجعة تحريماً للدقة في هذا الصدد .

وإذا كانت عملية جدولة البيانات ستتم بالطريقة الآلية ، واستخدام برامج الحاسب الآلي وفقاً لبرنامج المعالجة الإحصائية المختار ، فينصح هنا بالمراجعة لتحري الدقة في إدخال البيانات . كما ينصح بتحري الدقة في استخراج الجداول من خلال إعادة العمل ، والمقارنة بين النتائج في المرتين .

كما يلزم أيضاً إجراء معالجات إحصائية في الدراسة الوصفية ، واستخراج النسب المئوية والمتوسطات والارتباطات ، وينصح أيضاً بتحري الدقة في هذه المعالجات ، كما ينبغي اتباع الإجراءات الإحصائية التي تجنبنا استخلاص نتائج متحيزة من تلك البيانات ، وذلك مثل تحليل التباين بين المجموعات أو حساب اختبارات الدلالة الإحصائية وهكذا .

غير أن البيانات والنتائج في ذاتها ليس لها أية قيمة ، وهذا معناه أن عملية جمع البيانات والتوصل إلى نتائج لا تمثل نهاية عملية البحث ، وإنما يهدف البحث إلى التوصل إلى إجابة السؤال الذي يطرحه في ضوء الحقائق والبيانات التي تم جمعها ؛ ولذلك كان استخلاص معني من هذه البيانات التي تم جمعها . إن تفسير النتائج يشكل خطوة هامة في البحث . ولكن كيف يتم تفسير النتائج ؟ وهذا السؤال يجب أن نجد إجابة له عند تصميم البحث أو عند إعداد خطته ، إن تفسير النتائج ليس معناه مجرد وضعها في جداول أو رسوم بيانية أو إعادة ترتيبها وعرضها في صورة أخرى ؛ لأنها تظل على هذا النحو مادة خام . ولكن عندما يحاول الباحث توضيح ما الذي تشير إليه هذه النتائج وذلك في ضوء المشكلات الفرعية للبحث ، والمشكلة الكبرى له ، أو عندما يعمل على تكامل النتائج في قضية تدعمها الحقائق ، فإنه يهدف بذلك إلى تفسير هذه النتائج .

٦- التحيز في تصميم البحث الوصفي :

في توضيحنا للخصائص الأساسية للمسح الوصفي ، أشرنا إلى ضرورة أن يكون الباحث حساساً لمصادر التحيز في هذا النوع من البحث ذلك لأن البيانات في هذا البحث قابلة للتحريف ، ولهذا من الواجب أن نجنب البيانات من التأثير بهذا التحيز . وبرغم أن كل بحث عرضة للتحيز ، إلا أن البحث الوصفي أكثر تعرضاً للتحيز الذي يمثل أي أثر أو ظرف أو مجموعة ظروف تحدث التحريف في البيانات ، أو حتى تؤثر في التوزيع العشوائي لعينة البحث .

ولكى نفهم بدقة كيف أن التحيز يؤثر في البيانات ، دعنا نأخذ بعض الأمثلة وندرسها بعناية ، فقد قرر أحد الباحثين الاعتماد على دليل التليفون في المدينة كمصدر لاختيار عينته العشوائية ، وهذه العينة واضح أنها متحيزة ، لأنها لا تمثل جمهور البحث ككل ، لأن الشريحة الاقتصادية الدنيا لا تدخل في العينة لعجزها عن اقتناء التليفون . كما سوف تستبعد فئات أخرى تفضل ألا تضع أسمائها ضمن هذا الدليل .

وقد يستخدم الباحث أداة لجمع البيانات مثل الاستخبار دون أن يدري أنها معرضة للتحيز ؛ ذلك لأن نسبة العائد من الاستبيان حتى ولو بلغت ٥٠% فإنها لا تمثل كل عينة البحث المدروسة ؛ ولذلك فإن محاولة صياغة تعميمات على هذا الأساس وتطبيقها على المجتمع ككل سوف يؤدي إلى التحيز والتضليل . وكذلك قد ينشأ التحيز من مصادر أخرى في البحث ، فقد تؤثر شخصية الباحث في استجابات المبحوث عند مقابلته شخصياً .. والواقع أن الاعتراف باحتمال التحيز والتعرف على مصادره هو الطريق الوحيد لتجنبه .

رابعاً : نماذج على تنفيذ البحوث الوصفية :

بالنظر إلى الفقرات السابقة يمكن التعرف على الأهداف المتباينة التي تدخل ضمن أي بحث وصفي ، وعلى الأساليب المنهجية التي يلتزم بها غالباً في الوصول إلى مثل هذه الأهداف ، وابتداء من طريقة البحث ، ثم الاداة ، ثم العينة ، وأخيراً جمع البيانات وتحليلها ... إلخ . الأمر الذي يفهم منه أن الباحث يختار واحداً من الأهداف المذكورة سلفاً ويحاول أن يجري عليها بحثاً وصفيًا فإنه يجد نفسه ملزماً باتباع الأساليب المنهجية الخاصة بالبحث الوصفي وإلى أخذها في اعتباره وهو يفكر في وضع تصميم منهجي مناسب لتحقيق هذا الهدف ، وهذا ما حاولته الهيئة التي أشرفت على بحث البغاء في القاهرة عندما حددت هدفها في وصف ظاهرة البغاء التي تنتشر بشكل ظاهر في المدن الكبرى وخاصة القاهرة .

أما الهيئة المشرفة على بحث النشل عند الأحداث فقد حددت هدفها في وصف ظاهرة النشل بين الأحداث المنحرفين ، ولذلك كانت مجموعة الإجراءات المنهجية التي اعتمدت عليها في الوصول إلى هذا الهدف هي الإجراءات المتبعة في البحث الوصفي ، بحيث اعتمدت على طريقة المسح الاجتماعي للحالات التي أدانتها محكمة أحداث القاهرة والتي بلغت ٣٧ حدثاً وقامت بتصميم مقابلة مقننة لجمع البيانات من الأحداث ضمت بنودها : الوقائع الجنائية للظاهرة ، والجماعات التي ينتمى إليها الأحداث ، وطبيعة العلاقات بينهما والأسرة والجوار ... إلخ . ثم جمعت البيانات بواسطة باحثين مدربين

، ثم تمت الاستعانة بالأسلوب الاحصائي في تحليل البيانات ؛ بحيث ساعد الالتزام بهذه الإجراءات على إلقاء الضوء على ظاهرة النشل عند الاحداث وتحديد جوانبها المختلفة .

أسئلة المحاضرة الثامنة

س١/تحدثي / تحدث بالتفصيل عن تحليل البيانات وتفسير النتائج كأحد الإجراءات المنهجية في تصميم البحث الوصفي

المحاضرة التاسعة

استراتيجيات البحث الاجتماعي التطبيقي

تصميم بحوث المشروعات ونماذج على تنفيذها

تمهيد :

ظهر مصطلح بحوث المشروعات لأول مرة في مقال كتبه كيرت ليفين عام ١٩٤٦ ثم تطور على يد علماء من أمثال تريست ، وأخذت تظهر له نماذج وتيارات بعضها تقليدية، والأخرى سياقية والثالثة راديكالية وهكذا . وارتبطت بحوث المشروعات بالنماذج النظرية التي تهتم بالممارسة ، ويشدد البحث على الاهتمام بحل المواقف التي تنطوي على إشكالية. ويعتبر بحث المشروعات من بين البحوث الكيفية، ويعتمد على خطة عمل تأخذ شكل الدائرة، وظهر له عدة خطوات لابد منها عند التفكير في وضع تصميم منهجي لبحوث المشروعات ، ويظهر بوضوح دور الباحث في هذا النوع من البحوث

أولاً: تعريف بحوث المشروعات وأهدافها.

لقد عرف بحث المشروعات بأسماء أخرى كثيرة يشمل ذلك ، بحوث المشاركة او بحث التحرير، أو التعلم عن طريق العمل وبحث السياق غير أن كل هذه التسميات تعد بمثابة تنويعات على نفس الموضوع .

التعريف الأول : ويمكن أن نشير إلى بعض تعريفات بحوث المشروعات المقبولة على نطاق واسع ، أبسطها هو عملية تعلم عن طريق العمل ؛ فيها يقوم بعض الناس بتحديد مشكلة ما ، ثم يقومون بجهد من أجل حلها ، ثم يتابعوا مدى نجاح جهودهم وإذا لم تكن مرضية ، فإنهم يكررون جهدهم مرة أخرى . وعلى الرغم ان هذا التعريف يعكس جوهر هذا المدخل ، إلا ان هناك سمات اخرى أساسية لبحث المشروعات .

تسهم في تميزه عن النشاطات الشائعة و التي تتركز حول حل المشكلات التي قد تشغلنا جميعاً في كل يوم . و أما **التعريف الأكثر إككاماً هو :** إن بحث المشروعات يهدف إلى الإسهام في كل من الاهتمامات العملية للناس في موقف ينطوي على إشكالية مباشرة ، و أيضاً يعمل على تحقيق أهداف العلم الاجتماعي في نفس الوقت . وهكذا ، هناك التزام مزدوج في بحث المشروعات بدراسة النسق ،و المشاركة إلى جانب ذلك مع أعضاء النسق system في العمل على تغييره على نحو ينظر إليهما معاً باعتبارهما يسيرا في الاتجاه المرغوب فيه .وتطلب إنجاز هذا الهدف التوأم المشاركة الفعالة من جانب الباحث ، و المبحوثين ، و هكذا فالبحث يؤكد على أهمية التعلم بالمشاركة كسمة أولية تميز عملية بحث المشروعات .

التعريف الثاني: ويعد بحث المشروعات في تعريف آخر بمثابة أحد أشكال البحث الذي يعتمد على التأمل الذاتي Self-

reflective ، ويقوم بإجرائه المشاركين في المواقف الاجتماعية و بما في ذلك مواقف التربية و التعليم ، من أجل تحسين مستوى المعقولة rationality والعدالة في :

أ - ممارساتهم الاجتماعية أو التعليمية الخاصة .

ب - وفهمهم لهذه الممارسات .

ج - و المواقف التي تجرى خلالها هذه الممارسات .

وفي معظم الاحوال يجد هذا النوع من البحث تدعياً له عندما يضطلع به المشاركون على أساس من المشاركة . و أحياناً بالتعاون مع أعضاء من خارج الميدان .

التعريف الثالث: ويؤكد تعريف ثالث إن بحث المشروعات يسعى إلى فهم الواقع ، وهو فهم لا يقوم على جانب واحد يقتصر على فهم الباحث وحده ، وإنما يسعى فهم الواقع إلى الاستفادة من فهم المبحوثين أيضاً له ، وذلك من خلال التفاعل المتبادل بين الباحث و المبحوثين ، بنفس المعنى الذى كان يقصده باولو فيريرى ، عندما أكد على العملية التي لا يكون فيها المبحوثين مستقبلين متكيفين مع الباحث ، بل ذوات عارفة مدرکه فتسعى عملية البحث السوسيوولوجى (بحث المشروعات) إلى تعميق إدراكها للواقع ، الذى يشكل حياتها ، ويساعد على تعيين مقدراتها وإراداتها لتحويل هذا الواقع و تطويره .

وهناك سمات اخرى عديدة تميز بحث المشروعات عن غيره من أنواع البحث الأخرى.

فالأولوية في هذا البحث تشير الى تركيزه على دفع الناس الى الاندماج مع الباحثين ، وأيضاً - حيث يتعلم الناس على نحو افضل وتتولد لديهم الإرادة على تنفيذ ما تم تعلمه ، عندما يقومون بعمل ذلك بأنفسهم . ولبحث المشروعات ايضاً بعد اجتماعي - حيث تم إنجاز البحث في مواقف واقعية من العالم ، ويهدف الى حل مشكلات فعلية ،

وفي النهاية ، فان الباحث المبادر على خلاف النظم الفكرية الاخرى ، لا يقوم بأي محاولة ليبقى موضوعياً ، وإنما يعترف صراحة بتحيزه الى جانب المشاركين الاخرين.

ويستخدم بحث المشروعات في المواقف الواقعية ، اكثر مما يطبق في الدراسات التجريبية أو المخططة ، طالما كان محور تركيزه الأول ينصب على حل مشاكل واقعية. وبالإمكان على أية حال ، استخدامه بمعرفة العلماء الاجتماعيين من أجل اجراء بحوث استطلاعية أو تمهيدية ، خاصة عندما يكون الموقف بالغ الغموض ، لبلورة مشكلة بحثية دقيقة ، ولو انه في معظم الاحوال ، وتمشياً مع مبادئ هذا النوع من البحوث (بحوث المشروعات) ، يختار عندما تتطلب الظروف قدراً من المرونة، وإدماج الناس في البحث ، أو ينبغي احداث تغيير سريع او على نطاق كلى . وغالباً ما يضم اولئك الذين يطبقون هذا المدخل في البحث ، فئة الممارسين الذين يرغبون في تحسين فهمهم لما يمارسونه من عمل ، أو نشطاء التغيير الاجتماعي الذين يحاولون تنظيم حملات عمل وكذلك فئة الأكاديميين الذين تم دعوتهم من جانب احد التنظيمات وبناء على ادراك صناع القرار بأن هناك مشكلة تتطلب بحثاً (بحث المشروعات) .

ثانياً : تطور بحوث المشروعات: النماذج والأسس النظرية

أ - النماذج والتيارات الرئيسية

ب - الأسس النظرية :

عموما كيرت ليفين هو أب بحوث المشروعات ، فلقد كان عالم النفس التجريبي والاجتماعي الألماني هذا ، وباعتباره أحد مؤسسي مدرسة الجشطلت معنياً بالمشكلات الاجتماعية ، وركز اهتماماته على عمليات الجماعة المشاركة من اجل التعامل مع الصراع والأزمات والتغير في داخل التنظيمات بوجه عام . وكان يشارك اساساً في أعمال مركز ديناميات الجماعة في بوسطن ، ولكنه غير نشاطه وأنشأ معمله القومي للتدريب .

وقد صك ليفين لأول مرة مصطلح بحوث المشروعات في مقالة عام ١٩٤٦ حول بحوث المشروعات ومشكلات الأقليات

وأخذ يميز بحوث المشروعات على انها بحوث شاملة حول ظروف ونتائج أشكال متباينة من الفعل الاجتماعي أو هو البحث الذى يؤدي بدوره إلى فعل اجتماعي مستخدماً عملية حلزونية الخطوات وتتكون كل خطوة منها من دائرة للتخطيط والعمل ، والتوصل الى نتائج حول محصلة الفعل .

أ - النماذج والتيارات الرئيسية

أما بحوث المشروعات السياقية ، فهو مدخل نشأ عن أعمال بناء العلاقات البنائية بين الفاعلين في البيئة الاجتماعية ، ويؤكد البحث أن المشاركين يعملون كمصممين للمشروع ، ومتعاونين في العمل مع الباحثين . وقد ظهر في هذا السياق مفهوم الإيكولوجيا التنظيمية واستخدام مؤتمرات البحث ، وتأكد من خلال بحث المشروعات السياقي ، والذي يعكس فلسفة ليبرالية ، مصاحبة للتحويل الاجتماعي الذى أحدثته السياسات التي تدعو إلى الإصلاح التدريجي المعياري والقائم على الإجماع .

أما التيار الراديكالي ، الذى يضرب بجذوره في المادية الجدلية عن الماركسية والتوجهات نحو الممارسة والتغلب على صور فكان يركز بقوة على التحرير عند انتونيو جرامشى في حركات التحرير عدم التوازن في القوة . وغالباً ما نجد

بحوث المشروعات القائمة على المشاركة من أجل التحول الاجتماعي في حركات التحرر ، ودوائر التنمية الدولية ، وتناضل بحوث المشروعات النسوية الاجتماعي عن طريق عملية دفاعية ، لتعزيز الجماعات الهامشية في المجتمع ودعمها .

وهناك تيار رابع ، عرف باسم الفيلسوف الأمريكي التربوي الكبير ما بين بحوث المشروعات التربوية له جذوره في كتابات جون ديوي الذي كان يعتقد أن المعلمين النشطاء ينبغي عليهم أن يدمجوا أو يشاركوا في حل مشكلات المجتمع المحلي .

ب - الأسس النظرية :

الأساسي للبحوث طوال القرون العديدة الماضية ظل النموذج القياسي. وقد أسس هذا النموذج على عدد من المبادئ ؛ يشمل ذلك ، الاعتقاد في أن هناك واقع موضوعي ، يرتبط بالوضعية المنطقية المعرفة عنه يمكن اكتسابها فقط من خلال بيانات محسوسة يمكن توفير الخبرة بها والتحقق منها بين ملاحظين مستقلين ، وأن الظواهر تخضع لقوانين طبيعية ، التي يمكن للإنسان اكتشافها بوسيلة منطقية من خلال الاختبار الإمبريقي ، وبالاستعانة بالفروض الاستقرائية والاستنباطية المشتقة من قضايا النظرية العلمية .

وتعتمد مناهجه بشدة على المقاييس الكمية ، مع الاهتمام بالعلاقات بين المتغيرات التي توضح على نحو شائع بواسطة أساليب رياضية .

والوضعية التي استخدمها البحث العلمي و التطبيقي ، قد اعتبرها الكثيرون تتعارض مع مبادئ بحوث المشروعات . وعبر النصف قرن الأخير ، بزغ نموذج قياسي جديد في البحث في العلوم الاجتماعية ، لتجاوز القيود والحدود التي كانت تفرضها الوضعية .

ويمكن الإشارة إلى هذا النموذج على انه نموذج تفسيري ، استناداً الى تأكيده على العلاقة بين تشكيل المفهوم استناداً الى الواقع الاجتماعي وبين اللغة .

وهو نموذج يضم مداخل منهجية كيفية مثل الفينومينولوجيا ، والإثنوجرافيا ، والهرمينوطيقا ويتميز بالاعتقاد في أن الواقع يتم بناؤه من الناحية التصورية استناداً إلى السياق الاجتماعي ، وعلى نحو ذاتي ، وهو ذلك الواقع الذي يتأثر بالثقافة والتاريخ . إلا أنه لا يزال يبقى على مبادئ موضوعية الباحث ، على انه جامع سلبى ومفسر خبير للبيانات .

ومع أن هناك عدداً من المنظورات تشارك مع النموذج القياسي التفسيري واستخدامه للمناهج الكيفية ذات الصلة ، إلا ان هناك بعض الباحثين الذين يشعرون أنه لا نموذج القياس التفسيري ولا نموذج القياس الوضعي يمثلون أبنية معرفية كافية يمكن ان تدخل تحتها بحوث المشروعات .

ثالثاً : الإجراءات المنهجية في تصميم بحوث المشروعات

تمثل بحوث المشروعات ميداناً متجدداً في البحث ، ومن خصائصه المميزة ، الاعتراف بالمتطلبات العملية من جانب الممارسين بضرورة وجود بحث يقوم على التأمل في المواقف التي يعملون فيها (تعليمي – تنظيمي – تنمية ... الخ) . وتعد بحوث المشروعات بمثابة عملية صحيحة لتمكين كل المشاركين في هذا الموقف ، ومدهم بالوسائل التي تعمل على تحسين ممارساتهم في الواقع . ولذلك ، فإن كل المشاركين يعدون بمثابة أعضاء فعالين وعلى معرفة بعملية البحث .

وقد وصفت بحوث المشروعات بأنها نموذج غير رسمي ، وكيفي ، وذاتي ، وتفسيري ، وتأملي ، ويقوم على الخبرة experiential ، والذي فيه يعد كل الأفراد المندمجين في الدارسة بمثابة مشاركين فاعلين وعارفين لأهميته .

وهناك عدداً من النماذج المتاحة في التراث ، معظمها يعتبر بحوث المشروعات بمثابة عمليات لا تسير في خط واحد ، وتستند إلى الاعتقاد بأنه لا يمكن التنبؤ بسلوكيات الناس ، وأن افعالهم غالباً ما لا تتدفق في مسار مستقيم .

ولذلك فإن خطة العمل تأخذ شكل الدائرة ، التي تبدأ بالتعرف على مجال التطبيق الذي يجرى عليه البحث ، ثم تخيل الحل ، ثم تقييم الحل ، ويعد ذلك لإحداث التغيير في ضوء التقييم وأن هذه الدائرة لبحث المشروعات ، يمكن أن تتكرر الى دوائر جديدة في هذا البحث ، كلما برزت هناك مجالات جديدة للبحث .

ولذلك من الممكن تصور سلسلة من الحلقات لبيان عمليات تطوير التطبيق . ويمكن أن تتضح هذه العمليات على هيئة حلزون من الوائر ، حيث فيه تشكل قضية ما الاساس لأخرى ، وكلما تمت الإجابة على سؤال ، يتولد أسئلة أخرى .

وكان إليوت Elliott (١٩٩٣) قد اعتبر أن اسس عملية تصميم بحوث المشروعات تتجسد في مجرد الدائرة المميزة التالية :

- في الاصل هناك موقف استكشافي يتم تبنيه ، حيث تجرى بلورة وفهم المشكلة ، وتوضع خطط في شكل استراتيجي للتدخل (الاستكشاف والخطة العامة Reconnaissance)
 - وعندئذ يتم تنفيذ التدخل (المشروع في البحث) .
 - وخلال وقت حدوث التدخل ، يتم جمع ملاحظات وثيقة الصلة بالموضوع بأشكال مختلفة (رصد وإنجاز بواسطة الملاحظة)
 - ثم تنفيذ استراتيجيات التدخل الجديدة ، وتكرر العملية الدائرية حتى يتم تحقيق فهم كافٍ للمشكلة (أو انجاز حل ممكن) (التأمل والمراجعة Reflection and Revision)
- وهذا التصميم دائري في طبيعته ، قصد فيه دعم الفهم العميق للموقف المدروس ، ويبدأ بصياغة تصويرية وتحديد المشكلة ، وينتقل خلال عمليات تدخل عديدة ، وعمليات تقويم .

وكان كيمس S.Kemmis (١٩٨٥) قد قدم نموذجاً بسيطاً لبحث المشروعات يعكس الطبيعة الدائرية للعملية النموذجية في بحوث المشروعات حيث تشتمل كل دائرة على أربع خطوات ؛ الخطه ، العمل ، الملاحظة ، التأمل .

وكان سوسمان G.Susman قبل ذلك (١٩٨٣) قد قدم قائمة أكثر تطوراً في بعض الشيء . وتمكن من التمييز بين خمسة خطوات يمكن تنفيذها في داخل كل دائرة في البحث . ١- ففي الأصل والبدائية ، يتم التعرف على المشكلة وتجمع البيانات ، بهدف المزيد من التشخيص الدقيق .

٢-ويلي ذلك ، افتراض جماعي بالحلول العديدة الممكنة ، والتي قد ينشأ عنها خطة العمل ويتم إنجازها .

٣-ويتم جمع بيانات حول نتائج التدخل ،

٤-ثم تخضع للتحليل وتفسر النتائج في ضوء مقدار النجاح الذي تحقق للمشروع وعند هذه النقطة ، يتم إعادة تقدير المشكلة ، وتبدأ عملية الدخول في دائرة أخرى ، وتستمر هذه العملية إلى أن يتم حل المشكلة

وهكذا يتضح لنا أن هناك عدة خطوات ، أو مراحل ، أو إجراءات لا بد منها عند التفكير في وضع تصميم منهجي لبحوث المشروعات هي :

- أ. التعرف على القضية المثيرة للجدل من خلال تشخيصها وتحديد لها .
- ب. تخيل الحل الممكن ، بناء على مشاركة كل المساهمين في البحث .
- ج. تجريب الحل في الواقع باستخدام وسائل التدخل المتاحة .
- د. تقييم الآثار المترتبة على هذا الحل ، ورصد الإيجابيات والسلبيات .
- هـ. إدخال التغييرات على الموقف المدروس في ضوء ما يسفر عنه التقييم في كل حلقة من حلقات بحوث المشروعات .

وتطل هنا مجموعة من التساؤلات التي تحتاج الى إجابة لأهميتها في تصور التصميم المنهجي لبحوث المشروعات ، لعل من أهمها ما هو دور الباحث؟ وما الأدوات والطرق التي يمكن الاعتماد عليها في بحوث المشروعات؟ وما المبادئ التي تحكم تصميم هذا النوع من البحوث؟ وهل هناك اعتبارات أخلاقية علينا مراعاتها؟

الأدوات والطرق المستخدمة في بحوث المشروعات : إن بحوث المشروعات أكثر من مجرد مدخل كلي في البحث عن

حل للمشكلات ، ولا يعتمد على منهج واحد في جمع وتحليل البيانات . وهكذا ، فإنه يسمح بالاستعانة بالعديد من أدوات البحث المتباينة ويستخدمها في تنفيذ المشروع وتشمل هذه المجموعة المتباينة من المناهج ، والتي يشيع استخدامها عموماً في نموذج القياسي للبحث الكيفي ، الاستمرار في مسح التراث والدراسات السابقة في الدوريات العلمية ، وجمع الوثائق وتحليلها ، وتسجيلات الملاحظة بالمشاركة ، والمسوح التي تعتمد على الاستبيان ، والمقابلات المقننة وغير المقننة ،

ودراسات الحالة . إذ يحتاج التعرف على القضية موضع الخلاف ، والمشكلة التي تحتاج إلى حل في موقف من مواقف الحياة اليومية ، وتتطلب إجراء بحث مشروعات ، ضرورة تقديم شخص دقيق لها وتحديد أهداف دراستها ، وربما كان الاعتماد على مسح التراث ، وجمع الوثائق وتحليلها من بين الأدوات المستخدمة في هذه المرحلة من بحوث المشروعات .

– مؤتمر البحث كأداة أساسية في بحوث المشروعات : ويلخص ترست عملية مؤتمر البحث بأسلوب لطيف ، إنها تجرى في جماعات والتي تشمل على مجموعة الأمناء ذوي الصلة . وتلتقى الجماعة في ظروف اجتماعية معزولة لمدة (٢-٣) أيام وقد تصل أحيانا إلى (٥) أيام .

وتركز الجلسات المفتوحة على توضيح العوامل التي لها تأثيرها في سياق البيئة الأوسع ، تلك التي تحدث ما وراء المشكلات ، والتي يحتمل أن يكون لها تأثيرها في المستقبل

ويقوم محتوى ومضمون الجلسات على الاسهامات التي يقدمها الأعضاء . بينما تظل هيئة البحث تلعب دور الميسر للعمل .

وتوضع قائمة بنود اللقاء للمرة الأولى بدون انعقاد في جلسة الانعقاد ، وتعرض في صورة خرائط متحركة تحيط بالغرفة

وتتم مناقشة هذه المادة بدرجة كبيرة من العمق في الجماعات الصغيرة ، أما الصيغة التي يتم التوصل اليها تراجع في جلسات الانعقاد . ثم تعود الجماعة بفحص ومراجعة موقفها التنظيمي في مقابل هذه الخلفية الأوسع ، ثم تشرع في بناء صورة عن المستقبل المرغوب فيه .

يحتاج تخيل الحل الممكن بناء على مشاركة كل المساهمين ، والاستعانة حصريا بأسلوب مؤتمر البحث الذي تبلور كأداة يمكن أن تفيد منها بحوث المشروعات ؛ لأنه يتلاءم مع الكثير من احتياجاته .

ويتطلب تجريب الحل الذي انتهى إليه مؤتمر البحث ، استخدام وسائل التدخل المتاحة كخطوة أخرى من خطوات تصميم بحوث المشروعات ، والتي تتمثل في وضع خطة عمل ، أو تنفيذ استراتيجية أو برنامج محدد انتهى فريق البحث إلى اعتباره حلا ممكنا لمشكلة البحث .

ولتقييم الآثار المترتبة على هذا الحل ورصد الإيجابيات والسلبيات تمهيدا لإدخال تعديلات جديدة على الحل المقترح في البداية ، ربما أفادت أدوات وطرق في البحث مثل (الملاحظات بالمشاركة ، والمسوح ، والاستبيانات ، والمقابلات المقننه وغير المقننه ودراسات الحالة في هذا الصدد) ويتطلب إدخال التعديلات على الموقف المدروس . والتي أسفر عنها جهد التقييم في المرحلة السابقة من مراحل بحوث المشروعات ، الاستعانة بأسلوب مؤتمر البحث مرة أخرى وهكذا ،

د- مبادئ إرشادية واعتبارات أخلاقية لبحوث المشروعات :

وتعمل هذه المبادئ على إعطاء طعم فريد لبحوث المشروعات ؛ وهي عبارة عن مجموعة من المبادئ التي توجه وترشد البحث ، لخصها ونتر في ستة مبادئ أساسية

المبدأ الأول : النقد التأملية وهو عبارة عن تقرير عن الموقف ، في شكل مذكرات ونصوص ووثائق رسمية ، وما سوف يجعل الادعاءات الضمنية جديرة بالقبول ، وواقعية وحقيقية

أن الحقيقة في الموقف الاجتماعي ، نسبية بالنظر إلى قائلها . ويجعلنا مبدأ النقد التأملية نضمن أن يفكر ويتأمل الناس في القضايا والعمليات ، ويعمل على جعل التفسيرات واضحة وكذلك التحيزات والافتراضات والاهتمامات التي تبنى عليها الأحكام .

وبهذه الطريقة فإن التقارير العملية ، يمكن أن تثير الاعتبارات النظرية .

والمبدأ الثاني : النقد الجدلي ؛ ، والذي يقال عنه ، إنه عبارة عن المشاركة من خلال اللغة . والظواهر تتم صياغتها تصوريا في أثناء الحوار ، لذلك فإن النقد الجدلي مطلوبا لفهم مجموعة العلاقات بين كل من الظاهرة وسياقها ، وبين العناصر المكونة لهذه الظاهرة ، وتركيز الانتباه على العناصر الأساسية أو على تلك العناصر المتغيرة ، أو التي تتعارض مع بعضها الآخر . لأنها هي العناصر التي يحتمل أكثر أن تحدث التغييرات ،

والمبدأ الثالث : المورد التعاوني الباحثين

ويفترض مبدأ المورد التعاوني أن أفكار كل مشارك لها قيمة متساوية كموارد كافية من أجل ابتكار فئات تفسيرية للتحليل والتفاوض بين المشاركين . وهو مبدأ يناضل من أجل تجنب تشويه المصادقية الناشئ عن المكانة الأفضل لصاحب الفكرة . وهو يعمل خاصة على إمكان أن تكون الاستبصارات واضحة وجليّة من خلال الإشارة إلى التناقضات بين الكثير من وجهات النظر وفي داخل كل وجهة نظر واحدة .

أما المبدأ الرابع فهو يتعلق بالمخاطرة بالأعمال

لأن عملية التغيير تهدد بالضرورة كل الأساليب التي تكونت سابقا في القيام بالأعمال ؛ وهكذا تنشأ مخاوف نفسية بين المشاركين . ويأتي واحد من أكثر المخاوف ظهورا عن الخطر كف الذات عن المناقشة الصريحة لتفسيرات المرء وأفكاره وأحكامه . وسوف يستخدم المبادرون ببحث المشروعات هذا المبدأ في تهدئة مخاوف الآخرين والدعوة إلى المشاركة من خلال الإشارة إلى أنهم سوف يتعرضون أيضا لنفس العملية ، وأن العملية ستتم ، مهما كانت النتيجة لأن طبيعة البحث تجسد تعدد وجهات النظر والانتقادات .

والمبدأ الخامس ، هو البناء الجمعي والتعليقات : ، التي تؤدي إلى أفعال جماعية ممكنة وتفسيرات هذا البناء الجمعي للبحث يتطلب نصا جمعيا لوضع تقرير عنه ؛ وهذا يعني أنه سوف يوجد هناك تقارير كثيرة ، تعمل على وضوح التعليقات على التناقضات ، وتوسيع نطاق الآراء حول العمل المقدم ؛ ولذلك فإن التقرير يعمل على دعم استمرار المناقشة بين المشاركين أكثر من اعتباره نتيجة نهائية حول العمل .

ويتمثل المبدأ السادس والأخير ، حول التحول بين النظرية والممارسة : فيما يرى القائمون ببحوث المشروعات ، تمديد التطبيق بالمعرفة ، وتعمل الممارسة على تنقيح النظرية ، وذلك من خلال عملية تحول مستمرة .

وفي أي موقع ، تبنى أفعال الناس على مسلمات ضمنية ، ونظريات وفروض ، ومع كل نتيجة تمت ملاحظتها ، يحدث تعزيز للمعرفة النظرية والجانبان يتداخلان في كل عملية تغيير وحيدة .

وأنه يترك للباحثين أمر التعبير صراحة عن المبررات النظرية لأفعالهم ومشروعاتهم Actions ، والتساؤل عن الأسس التي تقوم عليها هذه المبررات .

هناك مجموعة من الاعتبارات الأخلاقية ، في إجراء هذا النوع من العمل ، ينبغي على الباحثين إعطائها اهتماما كبيرا ، وذلك لأن بحوث المشروعات تنفذ في ظروف العالم الواقعي ، وتشتمل على عمليات اتصال مغلقة ومفتوحة بين الناس المشاركين فيها .

- التأكد من أن الأشخاص ذوى الصلة ، والمجالس والسلطات قد تم استشارتهم ، وأنهم جميعا قبلوا مقدما ووافقوا على المبادئ الموجهة لهذا العمل .
- ضرورة السماح لكل المشاركين ، للتأثير في هذا العمل ، واحترام رغبات أولئك الذين لا يريدون المشاركة .
- وضرورة أن يظل تطوير العمل متاحا أمام مقترحات الآخرين .
- ضرورة الحصول على الموافقة قبل القيام بالملاحظة أو فحص المستندات التي كانت مخصصة لأغراض أخرى .
- ضرورة التفاوض على التقارير عن أعمال وآراء الآخرين ، ومع من يهمهم الأمر قبل نشرها .
- ينبغي على الباحثين أن يقبلوا مسؤولية المحافظة على السرية .

رابعا : تنفيذ بحوث المشروعات

يتوافر في التراث العديد من الأمثلة على جهود سابقة نفذت مشروعات ، ولكي نوضح بشكل أفضل كيف يمكن إجراء بحوث المشروعات ، سنعرض هنا بعض الدراسات السابقة والمتاحة في التراث .

ويستلزم هذا الأمر إنفاق المال والوقت والجهد على هذه البرامج والمشروعات لتساعدها على تحقيق أهدافها ، وثير في نفس الوقت تساؤل البعض عن فعالية جهودهم هذه أو برامجهم .

ثانياً : البحث التقييمي وخصائصه

يستخدم مصطلح التقييم في الوقت الحاضر ، كهدف وعملية في الوقت نفسه

هدف يتمثل في تحديد القيمة الاجتماعية لبعض الموضوعات أو الأعمال أو الأشخاص ، وعملية تتعلق بقياس درجة توفر تلك القيمة في هذه الأمور .

من ثمة عرف (ريكن) التقييم بأنه قياس للنتائج المرغوب فيها وغير المرغوب فيها لفعال أو سلوك يحقق هدف له قيمته .

واستنادا إلى ذلك تبلورت العناصر التصورية الأساسية للبحث التقييمي في تأكيد العلاقة بين نشاط أو سلوك أو فعل ما ، وبين هدف مرغوب فيه (علاقة تستند إلى مبدأ نظري ما يفترض أن هناك صورا معينة للفعل الاجتماعي سوف يترتب عليها نتائج محددة تمثل في الواقع القيمة الاجتماعية المرغوبة فيها .

وتتعلق العناصر المنهجية الأساسية للبحث التقييمي

بمشكلة قياس نتائج هذا النشاط ،

أو بوجود تكتيك أو منهج لقياس النتائج المحققة له على نحو من الصدق والثبات يساعد على نسبة هذا النتائج وإرجاعها إلى هذا الفعل أو السلوك أو النشاط موضوع التقييم .

وهكذا ، يتوفر في البحث التقييمي العنصران الاثنان الأساسيان اللذان يتكون منهما أي مشروع للبحث سواء أكان بحثا أساسيا أو تطبيقيا هما :

(أ) فرض يربط بين متغير سببي مستقل (فعل اجتماعي ما) بمتغير تابع (النتائج المرغوبة) .

(ب) منهج إجرائي لقياس التغيرات في المتغير التابع ، ولتحديد إلى أي مدى يمكن أن تنسب فيه هذه التغيرات إلى التغير في المتغير المستقل .

وتصفي هذه العناصر التصورية والمنهجية الأساسية على البحث التقييمي عددا من الخصائص التي تميزه عن غيره من أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى .

إذا كان البحث التقييمي يعد عموما بحثا تطبيقيا يهدف لقياس نتائج برنامج عمل اجتماعي ما ، فليس معنى هذا بالضرورة ودائما أن البحث التقييمي يختلف من هذه الناحية عن أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى التي تتميز بالطابع غير التطبيقي

ومن ذلك مثل البحث الاستطلاعي الذي يسعى إلى صياغة مشكلات وفروض جديدة ،

والبحث الكشفي الذي يركز على اختيار الفروض ذات الدلالة النظرية ،

أو البحث التاريخي الذي يبحث عن أصول وأسباب ظاهرة اجتماعية ما من خلال تتبع التاريخ... الخ . ذلك لأنه طالما كان بالمكان استخدام البحث التقييمي في اختبار صدق القضايا النظرية الأساسية المتعلقة بالتغير الاجتماعي المقصود .

قد يهدف البحث التقييمي إلى اختبار الفروض المتعلقة بكيف ولماذا سيترتب على التغير في متغير مستقل ، أو لا يترتب عليه تغير في المتغير التابع ، الأمر الذي قد يترتب عليه إمكانية تعميم هذا الاختبار على مبادئ العلم الاجتماعي خاصة إذا امكن صياغة المتغيرات المستقلة في ضوء مؤشراتها التصورية والإجرائية ، وإذا اجريت محاولة لصياغة أوجه نشاط البرنامج في مبادئ عمل اجتماعي أوسع ... وهكذا .

غير أن الظروف التي جرى في ظلها البحث التقييمي قد تعطى له طابعا متميزا عن غيره من صور وأنواع البحوث الاجتماعية الأخرى ؛

ذلك لأنه يجمع معا بين باحث خارجي يلتزم بالموضوعية ؛ وبين عميل في حاجة الى خدماته ويرتبط القائم بالبحث التقييمي منذ الصياغة الأولى لمشكلة بحثه وحتى التفسير النهائي لنتائجه ، يرتبط بواجب محدد ويذكر باستمرار أن محور اهتمامه هو تقدير البرنامج موضوع الدراسة .

ثالثاً : أهداف البحث التقييمي وأسس التصورية

وهذا معناه أن البحث التقييمي يهدف إلى :

أولاً : القياس الموضوعي والمنظم للنتائج المتوقعة وغير المتوقعة التي يسفر عنها تنفيذ برنامج عمل اجتماعي ما .

ثانياً : اختبار صحة بعض الفروض المتعلقة بعوامل التغيير الاجتماعي أو اسباب المشكلات الاجتماعية .

ويستند البحث التقييمي في تحقيقه لهذه الأهداف إلى بعض الأسس التصورية ؛ إذ يفترض أن هناك سلسلة من الأحداث المتداخلة والمتشابكة والتي لها لأغراض البحث بداية ونهاية ترتبط بعدد آخر من الخطوات .

كما يفترض أن لكل الأحداث الاجتماعية عددا من الأسباب وعديد من النتائج ، وأنه ليس هناك عامل وحيد يعتبر سببا كافيا وضروريا لأية نتيجة أخرى .

ولذلك ، يجب التعبير عن العلاقات بين هذين المتغيرين – أي البرنامج ونتائجه- في ضوء فكرة الاحتمالات ، بمعنى أنه يحتمل أن يكون للبرنامج :

(أ) النتيجة المتوقعة .

(ب) كما يجرى تحليل هذه العلاقة وفقا لنموذج النتائج المتفاعلة

رابعاً : خطوات البحث التقييمي ومشكلاته المنهجية

١- تصور أهداف برنامج التقييم :

تبدأ معظم البحوث بتصور الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه ، ولا يستثنى من هذا البحث التقييمي ؛ حيث يتمثل هدفه فيما يريد الباحث تفسيره ، أو ما يحاول تقييمه ، والذي بدوره يصبح من غير الممكن على الباحث أن يطور ويكون معايير التقييم .

وربما كانت السمة المميزة للبحث التقييمي هي وجود هدف ما له قيمته ؛ ذلك لأن لكل فعل أو عمل أو برنامج قيمته وهدفه ونتائجه ، ومن المنطقي أن يتم تقييم كل برنامج عمل في ضوء أهدافه الخاصة .

ولذلك ، يجب أن تبدأ البحث التقييمي بمحاولة التعرف على هذه الأهداف ، حتي تتمكن من الانتقال بعد ذلك صوب تعيين المفاهيم المعيرة عن هذه الأهداف والتي يمكن بدورها ترجمتها إلى مؤشرات يمكن قياسها .

وليس مهمة تحديد ما يأمل الباحث في تحقيقه ضمن برنامج العمل ، وترجمته إلى مؤشرات يمكن قياسها أو ملاحظتها ، بالمهمة السهلة ؛ ذلكم نظرا لتعدد أهداف البرنامج وتباين أبعادها وتنوع أر تصنيفها ، فقد تصنف الأهداف وفق :

أ - المضمون : وهل يحاول البرنامج تغيير المعتقدات ، أم الاتجاهات ، أم الاهتمامات ، أم المعارف ، أم السلوك ؟ .

ب - النطاق : ومن هم هدف البرنامج ؟ أو من الذين يحاول البرنامج تغييرهم ؟ هل هم الافراد ؟ أم الجماعات ؟ أم المجتمعات المحلية ؟ هل مجمل السكان ؟ أم جماعات فرعية مثل الأصدقاء أو الأقارب ؟

ج - المدى الزمني : أو متى يرغب البرنامج في حدوث التغيير ؟ هل يريد التوصل إلى نتائج فورية ، أم إلى نتائج مؤجلة ؟ أو هل التغيير قصير المدى ؟ يقع مرة واحدة ؟ أم بعيد المدى نتيجة للتراكم ؟

د - الحجم : هل للبرنامج هدف واحد أم أهداف متعددة ؟ أو هل قصد به إحداث تغيير واحد أم سلسلة من التغييرات المستمرة ؟ وهل يمكن تقسيم الأهداف إلى أهداف أساسية وأخرى ثانوية ؟ زكم عدد النتائج المرغوب فيها وتلك غير المرغوب فيها ؟ أم غير المتوقعة ؟ ولذلك يجب أن تشمل القياسات التي يقوم بها الباحث على نتائج كثيرة محتملة .

ويجب أن يوجه اهتمامه نحو النتائج الجانبية أو غير المتوقعة أو غير المرغوب فيها . وقد تبدو عملية تحديد الأهداف على النحو السابق كأنها عملا بسيطا وربما روتينيا بمقارنته بالموقف الأقل تقنيا الذي يمر به الباحثون أثناء انشغالهم بعملية صياغة مشكلات البحث في نماذج البحوث الاستطلاعية أو التاريخية أو التجريبية أو غيرها من أنواع البحوث الأساسية .

ولكن هذه البساطة الظاهرة اتضح عند التطبيق مقدار خداعها ، ومجمل المشكلات التي تترتب عليها .

ذلك لأنه غالبا ما تكون أهداف البرنامج غامضة أو مضللة أو غير متساوية في أهميتها مع حجم البرنامج ، أو أحيانا ما يصعب ترجمتها إلى مصطلحات ومفاهيم إجرائية يمكن قياسها أو ملاحظتها . كما أن البحث التقييمي يفرض على القائم به ضرورة النظر بعين الاعتبار إلى النتائج المحتملة للبرنامج وغير المتوقعة .

ويحتاج توقع كلا من النتائج المخطط لها وغير المخطط لها وقتا كافيا ، وجهدا ، وقدرة على التخيل يتميز بها الباحث ، وذلك كله قبل جمع الشواهد اللازمة لعملية التقييم ذاتها .

٢- تصور تصميم البحث التقييمي :

يستفيد البحث التقييمي من الأساليب المتباينة في البحث ويلتزم بقواعد المنهج العلمي . وعلى الرغم من أن تصميم البحث التقييمي يتبع في معظم الأحوال الأساليب والقواعد المتبعة في تصميم البحث التجريبي ، خاصة أنه يهدف أساسا إلى التحقق من نتائج افتراضية معينة للبرنامج موضوع التقييم ، إلا أنه يمكن للبحث التقييمي الاستفادة من نماذج البحث الوصفي والكشف عن الارتباط بين المتغيرات والذي يعتمد أساسا إما على طريقة المسح الاجتماعي أو دراسة الحالة .

(أ) التجريب والتقييم : تستلزم عملية تصور التصميم المناسب للبحث التقييمي عادة النظر إلى التصميم الكلاسيكي للبحث التجريبي باعتباره نموذجا يحتذى به ومحاولة الأخذ بالإجراءات التي تحقق الشروط اللازمة للتجربة المضبوطة ، والتي تساعد على قياس المتغيرات المترتبة على البرنامج من خلال إجراء المقارنات بين المتغيرات في المتغير المعتمد بين **المجموعة الضابطة** التي لم تتعرض لهذا البرامج بحيث أنه إذا تحقق التماثل بين الجماعتين التجريبية والضابطة ، باتباع أساليب المضاهاة أو التوزيع العشوائي أو غيرها ، عندئذ يستطيع الباحث اعتبار التغيرات في **الجماعة الضابطة** بمثابة معيار يمكن على أساسه تقدير الدرجة التي يمكن بها إرجاع التغيرات في **الجماعة التجريبية** إلى البرنامج موضوع التقييم

غير أن الاستعانة بالتصميم التجريبي في البحوث التقييمية على النحو السابق . قد يصادفه بعض المشكلات المنهجية . ذلك لأنه إذا افترضنا مثلا أنه تم اختيار جماعتين متماثلتين من البالغين في دراسة لأثر فيلم تدريبي قصد به نقل معلومات معينة للمشاهدين ، وأنه قد تم قياس مستوى المعلومات لدى الجماعتين قبل مشاهدة الفيلم . وبينما شاهدت إحدى الجماعتين هذا الفيلم ، لم تشاهده الجماعة الأخرى . وبعد فترة راحة ، تم قياس مستوى المعلومات مرة ثانية لدى الجماعتين .

هنا قد لا نستطيع ببساطة إرجاع التغيرات في مستوى المعلومات لدى الجماعة التجريبية إلى الفيلم وحده ، لأن هذه التغيرات قد تعكس أثر عوامل أخرى في الموقف مثل احتمال التعرض لمصادر أخرى للمعلومات في الفترة التي تخللت القياس في المرتين ، وأثر عدم ثبات أدوات القياس ، أو نضجها ، وكذلك أثر عوامل خارجية أخرى على البرنامج ذاته وإن كان البعض يرد على ذلك قائلين بأن الجماعة الضابطة قد تتأثر بمثل هذه العوامل الغريبة في مستوى المعلومات الذي يرجع إلى الأثر الشامل لبرنامج موضوع التقييم .

ولكن إذا كان الأمر يمكن تحقيقه في ظل ظروف مثالية مثل التي نجدها في ظروف المعمل ، إلا أنه يندر أن يحقق البحث التقييمي في الواقع مثل هذا الأمر . ذلك لأنه يصعب دائما توفير الجماعات الضابطة والمناسبة وخاصة فيما يتعلق ببرامج العمل الاجتماعي التي تتطلب جهودا ضخمة في سبيل تحقيق تغيير اجتماعي شامل ،

وكذلك بالنسبة للبرامج البسيطة التي تهدف إلى التأثير في اتجاهات وسلوك المشاركين ، التي عادة ما تحول الاعتبار الإردادية والأخلاقية دون توزيع المشاركين عشوائيا على جماعات ضابطة وأخرى تجريبية . ولمواجهة مثل هذه العقبات ، تبنى عدد من علماء المناهج الرأي القائل بأن الإصرار والتفكير بتصميم البحث التجريبي الذي يشمل على جماعة

ضابطة يعوق وظيفة البحث ويبعده عن الصواب . وأخذوا يدافعون عن ضرورة استخدام بدائل عملية ومعقولة أخرى محل التصميم التجريبي . *

فمنهم من ذهب إلى امكانية الاعتماد على المقارنة ودراسة الجماعات شبه الضابطة ، وقياس مقدار التغيير الذى حدث بين المشاركين في برنامج مماثل لذلك البرنامج المراد تقييمه ، والاعتماد عليه في تقدير الفعالية النسبية للبرنامج موضوع التقييم ، ومعرفة حجم الأثر الذى أحدثه البرنامج والذى يفوق الأثر الذى يحدثه برنامج آخر أو العوامل الخارجية المشار إليها سلفا ،

ويقترح فريق ثان من علماء المناهج استخدام إجراء آخر لتقدير أثر العوامل الغريبة على البرنامج، من خلال دراسة مقدار التغيير الذى يحدث بين عينة من المشاركين في الدراسة خلال فترة من الزمن سابقة على تعريض الجماعة التجريبية لبرنامج العمل موضوع التقييم . ويذهب فريق ثالث من علماء المناهج إلى القول بأن إعادة تطبيق وإجراء البحث التقييمي ، يساعدنا على تقدير التغيرات التي ترد إلى البرنامج موضوع الدراسة . غير أن هذه البدائل العملية للتصميم التجريبي المضبوطة لها حدودها ؛ ولذلك كان من الواجب استخدامها بحكمة ، لأنه قد يثبت فائدتها وأهميتها في البحث التقييمي ، وأثرها على إضفاء الدقة عليه .

(ب) الوصف والتقييم : يستطيع البحث التقييمي في بعض الظروف اتباع نموذج البحث الوصفي والاعتماد أساسا على طريقتي المسح الاجتماعي ، ودراسة الحالة . إذ يمكن دراسة العلاقة بين التعرض لبرنامج عمل وحدث آثار مرغوب فيها ، بالاعتماد على المسح التقييمي ، أو المسوح المقارنة ، والتي قد تجد فيها أن الأشخاص الذين أقرروا أنهم شاركوا بالفعل في البرنامج موضوع التقييم يظهر بينهم نسبة عالية وذات دلالة من الآثار المقصودة لهذا البرنامج على خلاف الأشخاص الذين يقررون بأنهم لم يشاركوا أو يتعرضوا للبرنامج موضوع الدراسة .

ولما كانت نتائج هذا النوع من المسوح التقييمية والمقارنة يعيها بعض المثالب المنهجية خاصة ما تعلق بالطبيعة الذاتية والانتقادية في التعرض للبرامج بين المشاركين ؛ وجد علماء المناهج أن استخدام اسلوب تحليل التباين المتعدد في معالجة نتائج هذا النوع من المسوح يساعد في التغلب على هذه المشكلات .

كما يمكن دراسة العلاقة بين التعرض لبرنامج عمل وحدث نتائج متوقعة بالاعتماد على المسوح يساعد في التغلب على هذه المشكلات ، كما يمكن دراسة العلاقة بين التعرض لبرنامج عمل وحدث نتائج متوقعة بالاعتماد على المسوح الطويلة Longitudinal الذى يكاد يقترب من نموذج الدراسة القبليّة والبعدية في البحث التجريبي ، والذى يتم وفقه دراسة مجموعة من الناس خلال فترتين زمنيتين متتابعتين ، والاستعانة بقياسات سابقة أجريت عليهم كنوع من الضبط والتحكم ، وحساب التغيرات التي تحدث في فترة لاحقة على التعرض للبرنامج ونتائجه ؛ وذلك مثل محاولة تقييم فعالية الحملات السياسية في تغيير سلوك التصوير .

ويشيع استخدام طريقة دراسة الحالة في البحوث الاكاديمية التي تتخذ التقييم هدفها ، بحيث يعتمد التشخيص والإرشاد على قدرة المهني على تقييم السبب والنتيجة في إطار الحالة الفردية التي يتعامل معها أو يعالجها ، ثم في وصف برنامج العلاج الذى يهدف إلى تغيير الظروف غير المرغوب فيها لهذا الفرد . وتستطيع المهن المساعدة في مجال الصحة والتعليم والرفاهية أن تنجز أوجه نشاطاتها المهنية على أساس من البحث التقييمي الذى يتخذ دراسة الحالة طريقة أساسية في العمل ، يمكن الاعتماد عليها في تقييم فعالية برنامج علاجي معين يطبق على الحالة أو الفرد موضوع الاهتمام .

٣- تحديد معايير تقييم فعالية البرنامج :

تشير الفعالية إلى المدى الذى يحقق فيه البرنامج أهدافه ، ويحتاج تقييم فعالية البرنامج إلى وجود مؤشرات أو مقاييس أو معايير تساعد في الحكم على البرنامج وتحديد مقدار النجاح والفشل في تحقيق أهدافه . وبقد استطاع علماء المناهج الكشف عن فائدة أنواع عديدة من المعايير في مقدمتها معايير الجهد ، والأداء ، والصلاحية والفعالية ، والعملية ، باعتبارها من أهم المعايير في تقدير نجاح أو فشل البرنامج . وهي معايير ترتبط فيما بينها ؛ ذلك لأن تقييم الجهد والأداء تسبق بالضرورة تقدير الصلاحية والكفاية ، ويترتب على الجهد أداء ناجح برغم أن الأداء قد يظل غير كافي في ضوء الهدف الأكبر المقصود من البرنامج ، أو بالمقارنة بمستويات أداء في برامج أخرى .

(أ) الجهد : يتركز تقييم الجهد كمعيار للنجاح على كمية ونوعية النشاط المبذول ، من خلال تقدير المدخلات والطاقة المبذولة بغض النظر عن العائد . ويجب هذا الجانب من التقييم على الأسئلة : ما هو مقدار العمل الذى تم في البرنامج ؟

وإلى أي حد كان هذا العمل موفقا؟ ويأخذ تقييم الجهد في اعتباره المقدرة والموارد المتاحة والنفقات والنشاط، ويفترض هذا التقييم أن نشاطا معيناً يعتبر بمثابة وسيلة صالحة للوصول إلى هدف ما .

(ب) **الأداء** : وينصب تقييم الأداء كمييار على نتائج الجهد أكثر مما يهتم بالجهد ذاته باعتباره معياراً للأثر أو النتيجة . ويتطلب قياساً للإنجاز في ضوء نتائج البرامج ومقدار ما تم تحقيقه من الهدف الآخر ، والإجابة على الأسئلة ، هل حدث التغيير المرغوب فيه ؟ وهل هناك أية نتائج جانبية أخرى ؟ وهل حقق البرنامج غير ما كان يتوقع منه ؟ ويتركز تقييم كفاية الأداء على مدى اقتراب النتائج التي حققها

(ج) **كفاية الأداء البرنامج** من الهدف الرئيسي الذي قصد إليه . لأنه قد يبدو أن برنامجاً للعلاج النفسي المركز على جماعة صغيرة ممن يعانون ضعفاً عقلياً ، أنه حقق نتائج ، ولكنه ليس كافياً في مواجهة مشكلة المرض العقلي في المجتمع المحلي الأكبر ، وتحقيق أهداف الصحة العامة . وهذا معناه ، أن كفاية الأداء تعد بمثابة مقياس نسبي يعتمد على مقدار التأثير الذي يرغب الباحث أن يحدثه في الشكلة برمتها .

(د) **الفعالية** : قد يكون للبرنامج نتائج إيجابية ، ولكن مع ذلك ، قد يكون هناك برامج أخرى أفضل منه في تحقيق نفس النتائج . فقد يستخدم مثلاً الباروميتر في قياس ارتفاع أحد المباني ، عن طريق ربطه بحبل ثم تديته إلى الأرض من أعلى هذا المبنى ، ولكن هل هذه هي أفضل طريقة لقياس الارتفاع ؟ ومن هنا يتم تقييم فعالية البرنامج بواسطة المقارنة بين نتائج البرنامج موضوع التقييم وبين برامج أخرى بديلة من حيث التكاليف المالية والبشرية والزمينية والإقناع العام ؛ ولذلك فإن الفعالية تمثل النسبة بين الجهد والأداء والنتائج المحسوم على التكاليف . ولا شك أن لهذا النوع من التقييم فوائده الإدارية والبحثية . ويمكن أن تزداد معرفتنا أثناء تقييم نجاح أو فشل البرنامج من خلال المعايير السابقة .

(هـ) **بالكيفية العلمية** التي يعمل بها البرنامج ويحدث آثاره ، أو بالكيفية التي يعمل بها البرنامج ويحدث آثاره ، أو بالكيفية التي لم يحدث بها هذه الآثار والأسباب في كل حالة ، وذلك من خلال جمع وتحليل المعطيات التي تحيب على الأسئلة كيف ولماذا ومن أي الجماعات يكون للبرنامج وجوانبه المتباينة وفعاليتها ؟ ومن هنا يتبلور معيار تقييم عملية البرنامج ليسهم في توفير هذا النوع من المعرفة والذي قد يساعد من ناحية على تطوير البرامج التي حققت النجاح المرجو ، خاصة وأنه قد تزداد الرغبة في إعادة تكرار البرامج الناجحة في أوقات أخرى أو ظروف مغايرة ، أو قد ينظر إلى البرامج الناجحة باعتبارها نموذجاً للعمل صالحاً لكل زمان . ومن ناحية أخرى ، يفيد في التعرف على الأسباب أدت إلى فشل البرنامج . ويسمح للباحث بإدخال التعديلات المناسبة .

ويتركز تقييم العملية على خصائص البرنامج ذاته ، وعلى سياق الموقف الذي تم في إطاره البرنامج ، وعلى الجمهور المعرض للبرنامج ، وعلى الأنواع المتباينة من النتائج المترتبة على البرنامج . والواقع أن تحليل هذه العناصر ، يماثل تحليل المتغيرات الوسيطة في البحوث غير التقييمية ؛ تلك المتغيرات التي قد تأخذ سمة المتغيرات الشرطية والتي قد تؤثر في العلاقة بين المتغير المستقل (البرنامج) والمتغير التابع (النتائج) .

٤- تنفيذ البحث التقييمي وتقليل مصادر الخطأ :

يتطلب تنفيذ البحث التقييمي سحب العينات الممثلة ، وتصميم أدوات القياس الموضوعية ، وتحديد ظروف جمع البيانات ، وإجراء التحليل اللازم . ويحتاج الأمر ضرورة تقليل مصادر الخطأ في كل خطوة من خطوات تنفيذ البحث التقييمي ، وخاصة الخطأ الناتج عن تحيز العينة ، أو عن طرح الأسئلة وتسجيل الإجابات ، والخداع فيها ، وعن تحيز القائم بالمقابلة . ويستطيع البحث التقييمي الاعتماد على الأساليب المستخدمة في التقليل من مثل هذه الأنواع من الأخطاء والتي يشيع استخدامها في أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى .

٥- تفسير النتائج :

لا يقف البحث التقييمي عند حد التدليل على نتائج البرنامج ، إنما تجاوز ذلك نحو اتباع الإجراءات المنهجية التي تساعد في تفسير مات انتهى إليه البحث ككل من نتائج . ولا يختلف البحث التقييمي في هذه الخطوة المنهجية كثيراً عن غيره من أنواع البحوث الاجتماعية الأخرى من حيث الالتزام بقواعد التفسير ، ومحاولة ربط نتائجه بنتائج غيره من بحوث سابقة في نفس المجال بفكرة نظرية أو فرض نظري مناسب . ولا يحتاج الأمر إلى تأكيد أهمية هذه الخطوة الأخيرة من حيث الأهداف العملية والنظرية ؛ حيث أن هذا التفسير يلقى مزيداً من الضوء على عوامل نجاح أو فشل البرنامج ويمد بالتالي القائمين على أمر برامج العمل الاجتماعي بالمعلومات الموضوعية التي يمكن في ضوئها الحكم على صلاحية البرنامج في حالة النجاح أو تعديله في حالة الفشل ، كما أن هذا التفسير يساعد من ناحية أخرى على اختبار الفروض النظرية

المتعلقة بتفسير التغير الاجتماعي ، أو تلك المتصلة بأسباب المشكلات الاجتماعية ؛ الأمر الذي يسهم بدوره في تنمية نظريات العلم الاجتماعي .

خامساً : نماذج على تنفيذ البحث التقييمي

والأمثلة التالية على البحوث التقييمية نستمدتها من بحث أجرى على مجتمع عمال الترحيل ، وكان الفرعي دراسة تقييمية لمشروعات التنمية الاجتماعية ، وبحث آخر حول دور مراكز الإعلام في تنمية الوعي بقضايا البيئية .

(١) **مجتمع عمال الترحيل؛ دراسة تقييمية لمشروعات التنمية** : وهدف البحث الكشف عن دور نظام المعسكرات الخاصة بعمال الترحيل في بعض المحافظات التي تتميز بوجود عدد كبير من هؤلاء العمال وخاصة بمحافظات كفر الشيخ والشرقية ومديرية التحرير ، ودور هذه المعسكرات في احداث التغير الاجتماعي المطلوب ، والقضاء على مشكلاتهم في وجود فرص عمل ملائمة ، وتوفير الأجور المناسبة ، وتطوير ظروف رعايتهم اجتماعيا وصحيا و و التعرف على النواحي الإيجابية والسلبية في نظام المعسكرات من هذه النواحي .

استفادت الدراسة من تصميم البحث التقييمي الذي يعتد على المسح الاجتماعي الوصفي في إجراء مسح اجتماعي بالعينة لقيام مشروعات التنمية وتنظيم معسكرات عمال الترحيل التي انقضت على انشائها ما يزيد على الخمس سنوات . واختار عينة مساحية من مجتمع عمال الترحيل في معسكرات كفر الشيخ والشرقية ومديرية التحرير للتعرف على وجهات نظرهم وتقييمهم لظروف مشروعات التنمية والمعسكرات التي يقيمون بها . استعانت باستبيان طبق عن طريق المقابلة الشخصية لجميع البيانات من العمال حول مشكلات الرعاية ، والتنظيم ، والتشغيل ، في المناطق المحددة للتقييم . ووضعت الدراسة عددا من المؤشرات والمعايير التي يتعلّق كل واحد منها بجانب من جوانب المشروعات موضوع التقييم تمثلت في المعايير التالية :

أ- **تقييم الجهد** : ويتم ذلك عن طريق تقييم النشاط الكمي والكيفي المبذول من أجل إنجاز الهدف ؛ وهو القضاء على مشاكل عمال الترحيل في تنظيم عمليات التشغيل وتنظيم الأجور والإعاشة في مواقع العمل والرعاية الاجتماعية والصحية .

ب - **تقييم الأداء** : ويتم ذلك عن طريق معرفة مقدار ما تحقق من الأهداف ؛ بمعنى آخر التعرف على مقدار ما حققته هذه المشروعات التنموية في حل هذه المشكلات السابقة .

ج - **تقييم الفعالية** : ويتم ذلك عن طريق معرفة مقدار العائد من هذه المشروعات بالنسبة لعمال الترحيل ، وإمكانية تعميم هذه المشروعات وانتشارها ، ومدى تأثيرها عليهم .

د - **تقييم العملية** : وهي التعرف على الأسباب التي أدت إلى نجاح أو فشل هذه البرامج التنموية في إعاشة وإعانة وتنظيم وتشغيل عمال الترحيل في هذه المعسكرات ، والوقوف على مدى نجاح أو فشل الخبرة الإدارية والبرامج في القضاء على المشاكل الخاصة بعمال الترحيل في المحافظات التي أقيمت بها مثل هذه المشروعات . أجرى البحث علي ٣٩٩ عاملا موزعين على المعسكرات المذكورة ، خلال شهري إبريل ومايو عام ١٩٧٧ . واتخذت الاحتياطات اللازمة لتقليل مصادر الخطأ ، من حيث تمثيل العينة ، من خلال سحب عينة مساحية ، وتطبيق أدوات جمع البيانات ، باستخدام باحثين مدربين ، والتغلب على المراوغة في الاستجابة بين أفراد العينة من خلال كسب ثقتهم ... الخ . وأجرى التحليل اللازم باستخدام الأجهزة الحاسوبية .

اجرى هذا البحث على ٩٩٣ عاملا موزعين على المعسكرات المذكورة

واتخذت الاحتياطات اللازمة لتقليل مصادر الخطأ من حيث تمثيل العينة من خلال سحب عينة مساحية وتطبيق أدوات جمع البيانات باستخدام باحثين مدربين والتغلب على المراوغة في الاستجابة بين أفراد العينة من خلال كسب ثقتهم ... الخ . وأجرى التحليل اللازم باستخدام الأجهزة الحاسوبية .

انتهى.....

المحاضرة ١١ تصميم أدوات جمع البيانات : المقابلة و الاستبيان

التمهيد :

هناك أدوات كثيرة لا حصر لها لجمع البيانات في البحث الاجتماعي يمكن أن نميز بينها على أساس ما تعتمد عليها كل منها في عملية جمع البيانات ، إذ هناك **الملاحظة** التي تعتمد على الحواس و غيرها من أدوات حسية مساعدة في التوصل إلى البيانات ، و هناك **المقابلة الشخصية** التي تعتمد على الكلمة و السؤال و الحوار المتبادل بين الباحث و المفحوص في موقف تفاعلي ، و هناك **الاستخبار** الذي يعتمد أيضا على الكلمة و السؤال و الحوار و لكنه غير متبادل بين الباحث و المفحوص ، و بدون وجود موقف للتفاعل بينهم . ثم هناك **الأساليب الإسقاطية** التي تعتمد على الصور و الرموز و اللعب و غيرها في التوصل إلى البيانات و هناك أخيرا **الوثائق و التقارير و الإحصاءات** أو ما يعرف باسم البيانات الجاهزة التي تعتمد على التراث المكتوب و تحليله في التوصل إلى بيانات البحث .

أولا : تعريف المقابلة و الاستبيان

أنواع الاستبيان

أ. الاستبيان الذي يستوفى بطريقة جماعية
ب. الاستخبار الذي يستوفيه المبحوث بنفسه
هناك أنواع كثيرة من **المقابلات الشخصية** مثل المقابلة الصحفية و المقابلة من أجل العمل و المقابلة العلاجية و نحن نعنى هنا فقط بالمقابلة التي تهتم بجمع البيانات من النوع المخصص للبحث .

وهي **تتكون المقابلة** التي تهتم بجمع البيانات من النوع المخصص من **ثلاثة متغيرات متفاعلة** ، المفحوص و القائم بالمقابلة ، و كشف البحث أو الاستخبار و يمكن أن يكون لكل متغير منها و كذلك موقف المقابلة الشخصية أثره الهام على النتائج.

وتعتبر المرنة بمثابة ميزة أساسية للمقابلة يمكن أن يفيد منها الباحث الواع . و يمكن له أن يتأكد من أن المفحوص قد فهم السؤال و قد استوعب هدف البحث . و يمكن لنا أن نطلب من الباحثين أن يتحسبوا الأمر عندما يجدوا صعوبة في التوصل إلى استجابات معينة ، و يمكن لنا أن نطلب منهم كذلك القيام بتصنيف الإجابات في الحال .

■ أنواع الاستبيان

الاستخبار الذي يستوفيه المبحوث نفسه : عادة ما يقدم هذا النوع من الاستبيان إلى المبحوث بواسطة الباحث أو شخص آخر يشغل وضع رسمي ، مثل المعلم أو موظف الاستقبال في المستشفى ، الذي يقوم بشرح هدف البحث ، ثم ترك المبحوث يقوم باستيفاء الاستبيان بمفرده و الذي قد يرسله فيما بعد أو يتم جمعه منه .

الاستبيان الذي يستوفى بطريقة جماعية : وهو نوع من الاستبيان يستوفيه المبحوث بنفسه و يعطى لجماعة من المبحوثين يجلسون معا ، مثل تلاميذ المدارس أو المستمعين المدعويين . ويمكن لأثنين أو أكثر من الباحثين ، اعتمادا على حجم الجماعة و مستوى تعليمها أن يديروا عملية استيفاء الاستبيان و يقدموا (بطريقة غير موجهة) و يراجعوا الاستبيان الذي تم استيفاؤه من حيث اكتماله مثلا .

أما الميزة الأساسية للاستبيان البريدي فتتمثل في قلة التكاليف ، طالما انه لا يتطلب هيئة مدربة من الباحثين الميدانيين (الذين جلبوا على أنفسهم تكاليف السفر و الإقامة) .

و الحقيقة أن كل ما يحتاجون إليه عبارة عن تكاليف التخطيط و العمل الاستطلاعي و الطباعة والنسخ و اختبار العينة و التعرف على العناوين و تكاليف البريد و الطابع و المظاريف الخاصة بإعادة الاستبيان بعد استيفائه .

القيام بتصنيف الإجابات في الحال و تمتاز عمليات المعالجة و التحليل عادة بالسهولة و قلة التكاليف بالمقارنة بالمقابلة الشخصية . و تتمثل الميزة الأخرى في إمكانية تغطية عينة كبيرة نوعا غالبا مع زيادة معتدلة في التكاليف .

ثانيا : بناء المقابلة و الاستبيان

مراحل عملية بناء الاستبيان

- ١- تحديد نوعية المعلومات التي نبحث عنها
- ٢- تحديد نموذج الاستبيان المستخدم
- ٣- صياغة النسخة الأولية

- ٤- إعادة اختبار الأسئلة المعدلة
 - ٥- اختبار مبدئي و تحرير للاستبيان و التحقق من الصدق و الثبات
 - ٦- تحديد وسيلة تطبيقه
- ثانيا : بناء المقابلة و الاستبيان :**

علينا لا يزال علينا اتخاذ عدد من القرارات قبل أن نبدأ في كتابة أول سؤال لنا في الاستبيان ويمكن تقسيم هذه القرارات إلى خمس مجموعات :

١. قرارات تتعلق بالمناهج الأساسية والمساعدة في جمع البيانات مثل المقابلة و الاستبيانات البريدية و الملاحظة و دراسة الوثائق
 ٢. طريقة تعامل مع المبحوثين (بعد اختيارهم من خلال إجراء سحب العينة) بما في ذلك أرقامهم و توضيح هدف البحث و الثقة و السرية .
 ٣. تحديد أساس تتابع الأسئلة و نظام هذه الأسئلة و غير ذلك من الأساليب في تصور إطار الاستبيان .
 ٤. تحديد نظام الأسئلة داخل كل قسم فيها و بالنسبة لكل متغير وهل سنعتمد على النظام القمعي أو التصميم متعدد الأبعاد و الأسئلة المفتوحة الخاصة بالاتجاهات أو الحقائق الواقعية .
 ٥. استخدام الأسئلة ذات الاستجابة المسجلة سلفيا أو الخبرة .
- وعموما يمكن تقسيم عملية بناء الاستبيان برمتها إلى المراحل التالية :**

١. تحديد نوعية المعلومات التي نبحث عنها
٢. تحديد نموذج الاستبيان المستخدم
٣. صياغة النسخة الأولية
٤. إعادة اختبار الأسئلة المعدلة
٥. اختبار مبدئي و تحرير للاستبيان و التحقق من الصدق و الثبات
٦. تحديد وسيلة تطبيقه :

ثالثا : الاعتبارات الشكلية في تصميم المقابلة و الاستبيان

- ١- الحجم.
 - ٢- نوعية ولون الورق.
 - ٣- ترتيب البنود في الاستبيان.
 - ٤- تتابع الاسئلة ونماذجها.
 - ٥- شكل الاسئلة المفتوحة والمغلقة النهائية.
- هناك العديد من الاعتبارات الشكلية مثل حجم الأداة و نوعية الورق و ترتيب البنود و تتابع الأسئلة و شكلها و ينبغي أخذها في الاعتبار عند تصميم الاستبيان أو المقابلة .

١- الحجم : يعتمد حجم الاستبيان إلى حد ما على مجال البحث و عدد البنود التي يشتمل عليها . و السؤال الجوهرى هنا ، هو ما هو الحجم المفضل للاستبيان ؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بأخذ مزايا و عيوب الأحجام المتباينة في الاعتبار .

٢- نوعية الورق : طالما كان هناك أكثر من يد تتناول كشف البحث قبل أن يصل إلى المبحوث ، لذلك ينبغي أن تكون أوراقه من النوع الذى يدوم و إذا كانت عملية الترميز و العد تجرى يدويا يفضل أن نستخدم أوراقاً مرنة و ذات سطح املس وكما كان كشف البحث أقل في بعده عن الذوق كلما قل احتمال معارضة المبحوثين تقديم المعلومات .

٣. ترتيب البنود فى الاستبيان : ينبغي تجميع السائلة التي ترتبط ببعضها البعض و عندما يعتمد السؤال على إجابة سؤال سابق عليه ينبغي أن نترك مسافة بينهما و يترتب على الاهتمام بمظهر الاستبيان تجنب الكثير من الأخطاء و ضمان نسبة عالية من العائد عنه إذا كان مظهر الاستبيان بعيد عن الترتيب

٤. تتابع الاسئلة و نماذجها : يتكون الاستبيان في جملته من مجموعة من الأسئلة المتتابعة و المترابطة فيما بينها و تخضع لنوع من الوحدة الجامعة والمنظمة لمختلف الفقرات والعبارات من اولها الى آخرها

٥. شكل الأسئلة المفتوحة و المغلقة النهائية : تختلف الأسئلة من حيث الشكل بين الأسئلة المفتوحة أو المغلقة النهائية و السؤال المغلق النهائية هو ذلك النوع من الأسئلة الذي يطلب فيه من المبحوث أن يختار الإجابة المناسبة من بين عدة إجابات بديلة و أن يضع علامة أو خطأ تحت الإجابة التي يختارها في الاستبيان المكتوب أو قد تقرا عليه البدائل بصوت مسموع أو تعرض عليه كروتا أو شرائح .

رابعا : اعتبارات المضمون في تصميم المقابلة و الاستبيان

- ١- اختيار الأسئلة
- ٢- صياغة السؤال و الاستجابة له
- ٣- محتوى السؤال و هدفه

رابعا : اعتبارات المضمون في تصميم المقابلة و الاستبيان :

١- اختيار الأسئلة : الأسئلة التي يجب الاهتمام بها هي التي تدور حول وقائع و حقائق factual والتي يتوقع أن تكون هناك معرفة بها . و هناك عوامل مثل التكرار و الدوام و الحياة و الاهتمام و المغزى و الموقع و غيرها تساعد على ضمان التوصل إلى المعلومات اللازمة و ينبغي تجنب الأسئلة التي يحتمل أن تمدنا باستجابات غير دقيقة و كذلك الأسئلة التي تتطلب كثيرا من الجهد الفعلي من المبحوث مثل تلك التي تتطلب حسابات رياضية .

٢- صياغة السؤال و الاستجابة له : يقوم السؤال بوظيفة إقامة اتصال محدد متوقعين به أن لدى المبحوثين معلومات معينة أو اتجاهات نحو الموضوع الذي يدور حوله بحثنا ، و نود التعرف عليها بدقة علما بأن الأفضل التوصل إلى هذه المعلومات بدون أن نطرح عليه أي سؤال و بدون أن يجيب المبحوث و ذلك لان الأسئلة التي نطرحها يحتمل أن تؤدي إلى سوء فهم لدى المبحوث أو غموض العبارة التي يجيب بواسطتها أو الخطأ في تسجيل هذه الإجابات . و تؤثر كل هذه الأمور على النتيجة النهائية التي يمكن أن نصل إليها من خلال السؤال .

٣- محتوى السؤال و هدفه : علينا أن نضع خطة للاستبيان لتحديد ترتيب كل القضايا الكبرى و الصغرى التي نعنى بها و نتابعها . ثم نتناول كل قضية على حدة و نصيغ السؤال أو الأسئلة المناسبة لها بحيث تطرح الأسئلة التي توصل إلى معلومات لدى المبحوث حول الموضوع المدروس و أن تحرص على دقة هذه الأسئلة . وكذلك من الضروري أن نحافظ على اختصار الأسئلة التي توصل إلى معلومات لدى المبحوث حول الموضوع المدروس و أن تحرص على دقة هذه الأسئلة .

خامسا : الشروط المنهجية في تصميم المقابلة و الاستبيان (الصدق و الثبات) :

أشرنا إلى المصادر الأساسية للخطأ التي تظهر أثناء البحث و خاصة تلك التي ترجع إلى تصميم العينة أو إلى تحيز الباحث نفسه أو الجهل و سوء الفهم أو التكتم من جانب المبحوث ، و تحيز التسجيل ، و ترميز الإجابات و التحليل الإحصائي و التفسير النهائي .

انتهى

المحاضرة الثانية عشر : تحليل البيانات الكمية و تفسير النتائج

تمهيد :

يعتبر التحليل خطوة أساسية في البحث ، من بين تلك الخطوات التي تتطلب تصميم مسبقا و تخطيطا واعيا ، و يصعب استبعاد التحليل عن دائرة التصميم باعتباره يستغرق وقتا طويلا ، أو على أنه عملية بسيطة و سهلة كلما استطاع الباحث أن يحدد ما الذي يجب إتباعه من خطوات عند تناول البيانات و تحليلها وذلك قبل أن يتم جمع هذه البيانات ، و كلما استطاع أيضا ان يحدد ما هي الأهداف التي يتوقع التوصل إليها من هذا التحليل أو بمعنى أدق كلما تمكن من التخطيط لعملية تحليل بياناته

اولا : مضمون التحليل و أهدافه :

تعريف التحليل :

ويقصد بتحليل البيانات تلك العملية التي يتم فيها النظر إلى بيانات البحث على ضوء الفروض أو التساؤلات التي يطرحها ، و النظريات التي ينطلق منها ، ثم تحاول استخلاص النتائج التي يمكن في ضوءها بلورة النظرية .

و يتطلب التحليل عند نظره الى بيانات البحث القيام بعمليات تلخيص و إيجاز للبيانات التي تم جمعها و تنظيمها بطريقة تسهل علينا استخلاص النتائج التي تمدنا بالإجابات على تساؤلات البحث أو التحقق من فروضه .

يقوم التحليل على أساس من التساؤلات و الفروض و النظريات التي ينطلق منها البحث ، وهذا ما دعي بعض الذين كتبوا عن تصميم البحث إلى القول بأن عملية تحليل البيانات تشتمل على ثلاث خطوات هي :

- ١ . تحديد الفروض التي في حاجة إلى تحقيق
- ٢ . اختيار متغيرات محددة تساعد في هذا التحقق
- ٣ . اختيار الأساليب الإحصائية المناسبة

تحليل البيانات خمس خطوات هي:

- ١ . تصنيف أو تكوين فئات للبيانات
- ٢ . ترميز البيانات الخام
- ٣ . جدولة البيانات
- ٤ . التحليل الإحصائي
- ٥ . استخلاص النتائج و العلاقات السببية بين المتغيرات

ثانيا : الإعداد لتحليل البيانات

- أ . مراجعة البيانات EDITION :
- ب . تصنيف البيانات CLASSIFICATION :
- ج . ترميز البيانات CODING :

ثانيا : الإعداد لتحليل البيانات ويقصد بها مختلف العمليات التي تجعل من عملية تحليل البيانات أمرا ممكنا وتعمل على زيادة و تسهيل إمكانية إخضاع البيانات لإجراءات التحليل ذلك لأنه إذا كان التحليل يستعين بخطوات الإيجاز و الاختصار و يهدف إلى استخلاص النتائج العامة ، وكان تبويب البيانات و جدولتها ومعالجتها إحصائيا يوصل إلى هذا الهدف

فإن التبويب و الجدولة تتطلب مراجعة للبيانات للتأكد من اكتمالها ووضوحها و تناسقها و إلى تصنيف للبيانات بمعنى تحويلها إلى فئات يسهل بعد ذلك تبويبها و كذلك إلى ترميز للبيانات بمعنى تحويلها إلى رموز أو أرقام الامر الذي يسهل جدولتها ولذلك كانت عمليات الإعداد لتحليل البيانات تشتمل على المراجعة و التصنيف و الترميز.

أ- مراجعة البيانات EDITION :

- ١ . اكتمال البيانات
- ٢ . وضوح البيانات
- ٣ . فهم البيانات
- ٤ . اتساق البيانات
- ٥ . الالتزام بالتعليمات
- ٦ . ملائمة البيانات

مراجعة البيانات EDITION :

تقوم عملية مراجعة البيانات على الفحص الواعي لأدوات جمع البيانات التي تم استيفؤها من المبحوثين سواء أكانت مقابلات أو استبيانات أو أدلة ملاحظة وذلك كله بهدف تحسين نوعية البيانات التي جمعت ، كلما كان ذلك أفضل من ان تتم المراجعة بعدما يكون الباحث قد جمع مادته و حملها معه إلى المكتب ليشرع في بقية خطوات بحثه ، و الواقع أن للمراجعة الميدانية و المكتبية أهميتها في تجنب كثير من المشاكل التي يحتمل ان تواجه الباحث بعد ذلك في أثناء عمليات تصنيف البيانات و ترميزها و تبويبها .

١- اكتمال البيانات

إذ ينبغي على المراجع أن يتأكد من أن كل البنود في أداة جمع البيانات قد تم استيفائها وذلك لان المساحة البيضاء التي تلى كل سؤال في استمارة المقابلة مثلا قد تشير إما إلى رفض الإجابة أو عدم معرفتها أو انه ليس هناك إجابة أو عدم انطباق السؤال .

٢- وضوح البيانات

ينبغي على المراجع أن يفحص المقابلة أو استمارة الملاحظة من حيث وضوح بياناتها ، يكشف عما إذا كان ما كتبه الباحث بخط يده أو كانت الرموز والعلامات التي وضعها يمكن القارئ بالترميز أن يفهمها بسهولة أم لا ؟ وذلك عند تسليم الأدوات المستوفاة ، حتى يسهل ردها إليهم لإعادة كتابتها من جديد ، وحتى لا تتوقف عملية الترميز ويكون من الصعب استدعاء الباحثين و سؤالهم مرة ثانية .

٣- فهم البيانات

تشتمل عملية المراجعة على فحص الاستمارات من حيث الفهم . إذ غالبا ما يحدث و أن تكون الاستجابات المسجلة مفهومة تماما للباحث القائم بالمقابلة أو الملاحظة ،

ولكنها لا تكون مفهومة للقائم بعملية الترميز لأنه لا يعرف سياق هذه الاستجابة أو السلوك ولهذا سوف توضح عملية الاستفسار المنظمة و الرجوع إلى جامعي البيانات لتوضيح ذلك الغموض أو التناقض .

٤- اتساق البيانات

ينبغي أن تفحص البيانات أو تراجع لكي تكشف عما إذا كان هناك نوع من التناقض أو عدم الاتساق فيما يتعلق بالاستجابات التي تم تسجيلها في استمارة البحث .

٥-الالتزام بالتعليمات

من الضروري مراجعة درجة الانتظام أو الالتزام التي تابع بها الباحث التعليمات في جمع و تسجيل البيانات لان ذلك قد يعوق عملية الترميز وخاصة إذا تم مثلا تسجيل الاستجابة في وحدات غير تلك المخصصة لها حسب التعليمات .

٦-ملاممة البيانات :

ينبغي أن نتذكر أن بعض الاستجابات قد تبدو غير مناسبة لأغراض البحث و يحتمل أن يحدث ذلك مع عدم صياغة السؤال في كلمات واضحة أو توجيهه بطريقة غير ذكية وهكذا ينبغي مراجعة البيانات بعناية مع الاهتمام بعزل الاستجابات غير المناسبة عن تلك المناسبة لأغراض البحث .

ب- تصنيف البيانات CLASSIFICATION :

يعتقد البعض بأن تصنيف البيانات في البحث قاصرة على البيانات التي يجمعها الباحثون بواسطة أدوات المقابلة أو الاستبيان او الملاحظة غير أن هذا الفهم الضيق للتصنيف يقلل من أهميته كمبدأ أساسي شامل يستعين به الباحث في كل خطوات بحثه ، فهو عندما يرجع إلى التراث و يستعرض البحوث السابقة و يتعرف على النظريات المفسرة لموضوع بحثه لابد له أن يقوم بتصنيف هذه المادة حتى يسهل عليه استيعابها و الإفادة منها في بلورة بحثه .

ترميز البيانات CODING :

يمثل الترميز خطوة أخرى من خطوات الإعداد لتحليل البيانات ، ينبغي أن نعرف المقصود به ، ومن الذى يقوم به ، وماهي المشكلات التي يثيرها وكيف يمكن التغلب عليها .

ويقصد بعملية الترميز تحديد نوعية من الرموز التي عادة ما تأخذ شكل الأرقام وذلك على كل إجابة تدخل في فئة محددة من مجموعة فئات التصنيف و بعبارة أخرى ، قد ينظر إلى الترميز على أنه عملية تنظيم ضرورية تمهيدا لعملية الجدولة اللاحقة ومن خلال عملية الترميز يمكن تحويل المادة الخام إلى رموز يسهل جدولتها وعدها.

ثالثا : تبويب البيانات و جدولتها :

و اذا كانت عملية ترميز تمثل البيانات تمثل خطوة أخيرة من خطوات إعداد البيانات للتحليل ، لأنها تحول بيانات البحث الى رموز ، فان هذه الرموز سواء أكانت أوصافا لفظية لفئات البيانات أو اختصارات أو حروف أو كانت رموز عادية تدل على فئات البيانات فان هذه الرموز تظل في حاجة إلى إحصائها أو حساب عددها في كل فئة الأمر الذي لا يتحقق إلا من خلال معالجة هذه البيانات و الاستعانة بوسيلة في تبويبها تمهيدا للتعبير عنها في صورة جداول .

أنواع التبويب :

- ١ . التبويب اليدوي
- ٢ . التبويب الآلي

التبويب الآلي :

الاستفادة من الحاسب الآلي تزايد الطلب في العلم الاجتماعي اليوم على استخدام الحاسب الآلي في معالجة البيانات و يتميز الحاسب الآلي أساسا لأنه يوفر الوقت و بإمكانه أن يتناول قدرا هائلا من البيانات بسرعة فائقة .

تخزين البيانات نظرا لكم الهائل من البيانات التي يتم معالجتها و نظرا للحجم الضخم من هذه المعلومات كان لابد من الاستعانة بالحاسب الآلي لتسهيل و تقليل التكلفة بالمقارنة بالتبويب و المعالجة اليدوية

برامج تبويب البيانات ومعالجته بفضل هذه الخصائص التي يمتاز بها الحاسب الآلي من حيث القيام بالعمليات الحسابية بسرعة فائقة و معالجة البيانات و المعلومات الرقمية ولهذا فهو يعد أداة مفيدة لأنه يمكن وضع برنامج يعين على إنجاز أداء مجموعة متباينة من المهام .

و في هذا المجال يعتبر البرنامج الإحصائي SPSS من أكثر البرامج الإحصائية استخداما بين الباحثين في المجالات المختلفة

انتهى

المحاضرة الثالث عشر : إخراج البحث في تقرير

أولا أهمية إخراج تقرّر البحث

- و بانتهاء مرحلة تحليل البيانات لا يعتبر البحث قد وصل إلى نهايته ، بل تظل مهمة البحث غير مكتملة تماما حتى يتم إخرجه إلى حيّز الوجود في صورة تقرّر مكتوب .
- ولذلك ، تعتبر المرحلة الأخيرة في البحث هي الكتابة و التعبير عن كل ما جاء فيه و إخرجه في صورة تقرّر .

ومن ثم يُنظر إلى هذه المرحلة على أنها من أهم مراحل عملنة البحث طالما كانت تقوم بتوصيل المعارف إلى الآخرين وهذا أمر لا يمكن إنكار جوهريته في سبيل تحقيق التقدم العلمي خاصة و أن هذه العملنة تسمح للاخرين بالاستفادة من النتائج و تقترح عليهم الجهات التي ينبغي أن تُسبر فيها البحوث في المستقبل.

وتظل النتائج المثمرة و المباشرة بالجديد و التي قد يحدث و أن يتوصل إليها البحث ، وعليه فإن عملنة إعداد تقرّر البحث تعمل على توصيل النتائج و تمكّنها من الدخول إلى رصد المعرفة.

الجمهور المستفيد من التقرير

السؤال الذي يواجه عملنة إخراج البحث في صورة تقرّر بعد أن اتضحت لنا أهميته و ضرورة هذه العملية على النحو السابق هو : من هم القراء المعنون بهذا التقرير أو من هم الجمهور المعنى بهذا التقرير و الذي يمكن أن يُمكن أن يستفيد منه ؟

يمكن أن يُصدر تقرير البحث و يُوجه إلى مجموعة واسعة من الجمهور ابتداء من العلماء المهتمين بالبحث الاساسي حتى عامة الناس و بالامكان تصنّف هذا الجمهور إلى الفئات التالية

1- العلماء المهتمون بالبحث الاساس

2- العلماء المنشغلون بالبحث التطبيقي

3- الممارسون و العاملون في هيئات الخدمات

4- صانعو السياسة

5- المشرفون على البحوث

6- عامة الناس

أهداف تقرير البحث

• إذا كانت التقارير قد تقدم لمجموعات متباينة من الجمهور ، فالمتوقع أن تكون هناك أهداف متباينة تحاول تقارير البحوث توصّلها لكل منهم

• و الواقع أن التقريرُ تثار أيضا بالهدف الذي يسعى إليه الباحث من وراء إعادة إذ يمكن للتقرير أن يلخص أو يوجز كل جهود البحث التي تراكمت في مُدّان معيّن ، و يتوقف هذا على معرفة فن كتابة التقرير ، بحيث يشمل على كل نتائج البحث المتاحة ذات الدلالة و يقوم بتنظيمها في بناء نظري متماسك.

شكل التقرير و أسلوبه

1- حجم التقرير

2- صورة التقرير

3- يهكل التقرير

4- أسلوب التقرير و لغته

يتوقف شكل التقرير و الصورة التي يظهر بها و حجمه و التخطيط العام له أو هيكله و الاسلوب المستخدم في كتابته و اللغة المعبرة عن أفكاره و يتوقف كل ذلك على الجمهور المستفيد من التقرير و على الهدف الذي يسعى التقرير إلى تحقيقه

1حجم التقرير

• :لما كان التقرير يُنظر إليه باعتباره تلخيصا لكل ما يتم في البحث و مثل كل ما جاء فيه أفضل العناصر و الوسائل التي توصلنا إلى الهدف ، فالمتوقع أن لا يزداد حجم التقرير عن الحد الذي يبعد عنه فكرة التلخيص و الايجاز و الاختصار و يضم عناصر و وسائل قد لا يكون لها صلته بالهدف الذي تسعى إليه البحث و تعتبر زائدة عن المطلوب و تسهم في تضخم حجم التقرير بدون التقرير بدون مبرر واضح..

كلما أسهم في توفير مادة مختصرة لا تكلف صاحبها مالا طاقة له ، و لا تزيد من أعباء القارئ أو الجمهور المستفيد و عنائه في مقاومة الجهود التي بذلت في البحث.

2- صورة التقرير

• صورة التقرير هي تلك التي يخرج بها التقرير إلى الحيز الوجود . و تشمل الصور أو الوسائل المتاحة عموما medium و يقصد بها الوسيلة أو Monographs أمام الباحث لكتابة تقريرة على المقالات التي تنشر في دورات أو

التقارير الفنية المحددة أو الرسائل الكتب أو الفصول في كتب أو العروض التي تقدم في لقاءات أو مؤتمرات أو نشرات أخبار

يمكن في إطار كل نوع من هذه الوسائل أن تعد وثائق مختلفة و صيغ لتناسب جمهور مستفيد معين

إذ هناك دوريات مختلفة و تتعامل من أقسام متباينة من الجمهور المستفيد ، بعضها يصدر للعلماء الذين يجرون بحوثا أساسية و بعضها صدر للممارسن و يصدر البعض الثالث لعامة الناس.

3- هيكل التقرير

- • العناوين الرئيسية و الفرعية للموضوعات

- • الهوامش و الحواشي •

- الجداول الاحصائية و الرسوم البيانية و الخرائط

• وفي اللحظة التي يستقر الباحث على الحجم الذي ظهر به التقرير ، و اختصار ما يراه مناسباً من عناصر توصله إلى أهدافه ، و ينتهي من تحديد الوسيلة أو الصورة التي سيكون عليها تقريرة – مقالة أو رسالة أو فصل في كتاب ... الخ

عليه بعد ذلك أن يبدأ بإعداد تخطيط مفصل لهذا التقرير

- • العناوين الرئيسية و الفرعية للموضوعات • :

لتوجيه انتباه القارئ و نحو المعلومات المعروضة و كيفية تنظيمها-

الهوامش و الحواشي

• إذا كان أسلوب العناوين الرئيسية و الفرعية يسهم في تنظيم المادة الأساسية التي يشمل عليها (متن) التقرير ، فان

• الباحث قد يجد في أسلوب الهوامش و الحواشي ما يعينه على تنظيم بقية المادة التي توصل إليها ولا يجد لها مكاناً مناسباً في متن التقرير . و الواقع أنه يعلق على أسلوب الهوامش و الحواشي في تقارير البحوث أهمية كبيرة ، ذلك لأنها تقيّد في إبراز أفضل أولئك

الجداول الاحصائية و الرسوم البيانية و الخرائط

• تقيّد الجداول الاحصائية في التدليل على الاستنتاجات التي يتم التوصل إليها و تعتبر الرسوم البيانية من أكثر الاساليب شوعاً في البرهنة على الاتجاهات و تستخدم الخرائط في التحليل الايكولوجي و توضيح الحدود الطبيعية للمجتمع المدروس مثلاً ، غير أن هذه الاساليب لا تساعد فقط على تقديم و عرض البيانات في شكل يسهل قراءته ، و إنما تسهم كذلك في فهم الأفكار و إتاحة الفرصة لعقد المقارنات ، على ذلك تبدو أهمية الاستعانة بالجداول الاحصائية و الرسوم البيانية و الخرائط في حسن تنظيم هيكل البحث

أسلوب التقرير ولغته

• هناك أساليب كثيرة للكتابة تستخدم في وضح تقارير البحوث منها :

الاسلوب المباشر الذي يكتب على لسان الشخص « اكتشفت » و الاسلوب غير المباشر الذي يكتب على لسان الآخر " تم اكتشاف "

• و برغم أنه لئس هناك أجماع على أسلوب معين منها ينبغي أن نأخذ به في كتابة تقارير البحوث ، إلا أنه يفضل عموماً الاستعانة بالاسلوب غير الشخصي أو غير المباشر.

• قد ظهر أخيراً اتجاه متزأيد نحو استخدام أسلوب الجملة الايجابية التي تبدأ " تشنر الببانات إلى "..... بدلا من أسلوب الجملة السلبية " من المقترح ".... فضلا عن استخدام أسلوب الجملة ذات البناء البسط ، و العبارة العلمنة السهلة المستقيمة التي تُفيد في البرهنة و التدليل على نتائجه و بعدا عن العبارات الادببة و الشعرية التي تميل إلى الاغواء و الاقناع.

مضمون التقرير و تنظيحه •

يتوقف مضمون التقرير أو المحتوى الذي يتكون منه هذا التقرير و كذلك تنظيحه أو ترتيب هذا المضمون و توزعه على أقسام التقرير المتباينة ، يتوقف على نوعية الجمهور المستفيد وعلى الهدف الذي يسعى إليه التقرير ، ومن هنا كان من المتوقع أن يختلف مضمون التقرير و محتواه باختلاف هذا الجمهور و الهدف وتظهر هنا أطر مختلفة في تنظيم محتويات تقارير البحوث ، غير أننا سنركز هنا على مضمون التقرير الذي يقدم لجمهور العلماء و زملاء التخصص فهناك إطار واحد أكثر شيوعا يعتبر بمثابة التقرير النموذج من حيث المضمون و التنظيحه

يشمل مضمون التقرير على العناصر التالية:-

1. • • توضيح المشكلة التي تعنى بها الدراسة
2. • الاجراءات المنهجية للبحث و تنطوي على - :
 - تصميم الدراسة -
 - الاستراتيجية المنهجية -
 - طرق البحث -
 - مجتمع البحث و طبيعته الفنية -
 - أساليب جمع البيانات -
 - مناهج التحليل الاحصائي أو الكيفي
3. • النتائج الاساسية و الاستخلاصات
4. • مضامين نتائج البحث بالنسبة للنظرية و التطبيق

المسؤولية الاخلاقية في كتابة التقرير

- 1• حماية المفحوصين أو الذين ساعدوه في الدراسة
2. • تقديم المعلومات الكاملة و الدقيقة إذ على الباحث عندما أكد للمفحوصين أن يدلون به من بيانات سيتم المحافظة على سريتها ، عليه أن يتأكد من أن هذه السيره محفوظة . وهذا الأمر يعد حاسما وحيويا خاصة عندما تتعلق البيانات باوجه نشاط غير قانونية أو شاذة
- فعلى الباحث شأنه شأن الصحفي أن يحمي مصادر معلوماته • .

وهناك كثير من الجدل و النقاش حول المدى الذي ينبغي إليه الاعتراف بالمسؤولية الاخلاقية للباحث.

انتهى